مدينة وادي الحجارة (مدينة الفرج) الأندلسية
(٩٤-٤٧٨هـ/ ٧١٢-١٠٨٥م)

أ . د . جاسم ياسين الدرويش
أ . د . حسين جبار العلياوي
كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة البصرة

ملخص البحث

تقع مدينة وادي الحجارة أو مدينة الفرج على بعد ٥٧ كم من مدينة مدريد ، وهي مدينة عربية إسلامية التسمية والتأسيس ، نزلها المسلمون بعد الفتح ، إذ استقرت بها أولاً قبيلة بني الفرج بن سالم من بربر مصمودة ، وبسبب موقعها في منطقة الثغر الأوسط المواجهة لمملكة ليون النصرانية نزلها المسلون لتكون حصناً دفاعياً متقدماً ، ثم تطورت الحياة بها لتتحول إلى مدينة كبيرة وكورة من كور الأندلس المهمة .

قسم البحث إلى ثلاثة محاول ، في المحور الأول خُص لجغرافية المدينة التاريخية ، فتناول تسميها وموقعها وأهم مظاهرها الطبيعية ، كما تناولنا في المحور الثاني تاريخها السياسي وما مرت بها من أحداث خلال عهود الدولة الإسلامية المختلفة حتى سقوطها بيد النصارى سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م بعد سقوط طليطلة مباشرة ، كما تطرق المحور الثالث إلى بعض الجوانب الحضارية للمدينة ، مثل أهم الآثار الإسلامية فيها ، ثم أهم رجالاتها الذين أسهموا في ميادين العلوم المختلفة .

Research Summary;

The city of Guadalajara, (Alfaraj City) Andalusian

Guadalajara, a city or town Faraj is located 57 km from the city of Madrid, an Islamic Arab city label incorporation, livedit Muslims after the conquest, as settled by the first built-Faraj bin Salim tribe of Berber Msamudh, and because of its location in the gap East confrontation of the Kingdom of Leon Christianity Download it to be a fortress Muslims are defensive ahead, then its life has evolved to become a big city and Core Andalus task .

Search devided to three attempt, in the first pillar singled to geographic historic city, it handled call them the location and the most natural manifestations, as we approached the second section of political history and passed out of the events during the eras of various Islamic state until the fall by the Christians in 478 AH / 1085 AD after the fall of Toledo directly and the third section talk about some of the cultural aspects of the city, such as the most important Islamic monuments, and most important its men who have contributed in various fields of science .

المقدمة

دخل المسلمون إلى شبه الجزيرة الأيبيرية حاملين معهم كل أسباب الحضارة والتقدم ، فعمروا الأرض وأقاموا المدن ، وبنو الحصون والقلاع واختلطوا مع سكان البلاد الأصليين وشاركوهم في أفراحهم وأتراحهم ، فاشترك الجميع في بناء دولة استمرت قرون عدة تدر عليهم من عطائها وينعمون في ظلها بالحياة الطيبة ، وقد ساعدهم على ذلك جمال الطبيعة وتنوع البيئة .

وتعد ظاهرة بناء المدن واحدة من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية هناك ، وأغلب المدن التي أقيمت في الأندلس كانت أما للنزهة على شكل مِنيّات أو حصون للدفاع ، إلا أن مدينة الفرج (وادي الحجارة) كان اختيار موقعها لأسباب دفاعية ، إذ أنها من حيث موقعها بالنسبة للدولة الإسلامية في الأندلس تعد من الثغور المهمة المتقدمة في منطقة طليطلة ، فضلاً عن وقوعها عند ممرات الجبال التي تربط بين شقي البلاد الأعلى والأدنى .

ولأهمية هذه المدينة من حيث الموقع جاء هذا البحث يسلط الضوء على جغرافية المدينة التاريخية ، فتناولنا فيه موقعها وأهم مظاهرها الطبيعية ، كما تناولنا تاريخها السياسي وما مرت بها من أحداث خلال عهود الدولة الإسلامية المختلفة حتى سقوط المدينة بيد النصارى سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م ، كما تطرق البحث إلى بعض الجوانب الحضارية للمدينة ، مثل أهم الآثار الإسلامية فيها ، ثم أهم رجالاتها الذين أسهموا في ميادين العلوم المختلفة .

أولاً : الجغرافية التاريخية لمدينة وادي الحجارة "Guadalajara" :

يبدو أن لموقع المدينة علاقة كبيرة باسمها ، فهي تبعد مسافة ٥٧كم عن مدينة مدريد Magerit (مجريط) [١] ، وأهم ظاهرتين طبيعيتين حددت اسمها هما الجبال والأنهار ، فالمدينة تقع ضمن المنظومة الوسطى من الجبال والتي يطلق عليها اسم كورديرا كربيتانا Cordillera Carpetana وتتألف من سلسلة جبال تتجه من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي ويصل ارتفاعها إلى أكثر من ٢٠٠٠ متر ثم تتصل بسلسلة جبال وادي رامة (الرمل) Guadarrama – وهو جبل الشارات Sierra Morena – إلى الشمال الغربي من مدينة مدريد ، وتتخلل هذه السلاسل الجبلية ممرات منها ممر سوموسيرا Somosierra بين مدريد وبرغش Burgos ، ووادي عميق Navacerrada بين مدريد وشقوبية Segovia ، ووادي رامه بين مدريد وبلد الوليد Valladolid [٢] ، وفي قلب هذه المنطقة تقع مدينة وادي الحجارة ، وقد وصف الزهري هذه المنطقة الجبلية بقوله ((... جبل أطريجرش المتقدم ذكره الذي يفصل بين بلاد الأندلس وبلاد الأفرنج ، وهو يقطع من الجنوب إلى الشمال من ساحل البحر الرومي إلى الموضع المعروف برت جيق ... ثم ينتقل هذا الجبل إلى ناحية المغرب على الثغر الأعلى المعروف بثغر المنار ، ومنه يدخل إلى أرض قشتالة ، وفي هذا الموضع البرت المسمى ببرت ياقة بإزاء مدينة برشلونة ...ثم يهبط هذا الجبل على ثغر وادي الحجارة ومدينة طلمنكة والى الجزيرة المعروفة بجزيرة طليطلة والى الفج المسمى بالشارات ويعرف هذا الجبل في هذا الموضع بالشارات حتى إلى البرت المعروف ببرت قال ، ثم يهبط حتى يرتكن في البحر المحيط)) [٣] .

أما الظاهرة الثانية فهي الأنهار ، إذ تقع المدينة عند منابع نهر تاجه Rio Tajo وهو أطول أنهار شبه الجزيرة الأيبيرية Iberia ، فهو ينبع من جبل سان فيليب San Felipe بين مدينتي طوريل Teruel وقونقة Cuenca ثم يعبر وادي الحجارة ثم يخترق طليطلة Toledo وطلبيرة Talavera ثم يتابع سيره نحو شنترين Santarem ثم خليج لشبونة Lisboa [٤] ، ومدينة وادي الحجارة تقع على غربي نهر يعرف باسمها [٥] (أي نهر وادي الحجارة) ، وقال عنه الإدريسي : وهذا النهر يجري إلى جهة الجنوب فيقع في نهر تاجه الأكبر فيمده [٦] ، وقد وصف الجغرافيون نهر تاجه بالقول : أنه يشق بلاد الأندلس من شرقها إلى غربها ومنابعه بالقرب من مدينة تطيلة Tudela ثم ينحدر نحو الجنوب الغربي ماراً بمدن وادي الحجارة ومجريط وطليطلة ثم طلبيرة وشنترين ولشبونة حيث يصب في البحر المحيط [٧] .

وعلى سفوح تلك الجبال الوعرة التي تتخللها وديان الأنهار العميقة ذات المياه السريعة الجريان التي شقت لنفسها مجاري بين الصخور وهي الفاصلة بين شقي شبه الجزيرة الشمالي والجنوبي شيّدت العديد من المدن ومنها مدينة وادي الحجارة والتي جاءت تسميتها من طبيعة سطح المنطقة التي قامت عليها ، ويذكر المؤرخون

الأسبان بأن معنى وادي الحجارة هو وادي القلاع . كما أن هناك ٣٠ موقعاً اثرياً في المدينة معظمها تتكون من الحصون والقلاع [٨] .

ويمكن التعرف على مدلولات اسمها في المصادر العربية من خلال روايات ياقوت عنها ، فقد ورد اسمها عند ياقوت بثلاثة صيغ في ثلاثة مواضع ، في الأولى قال : الحجارة ، جمع حجر : كورة بالأندلس يقال لها وادي الحجارة [٩] ، وفي الثانية قال : فرج ، مدينة بالأندلس تعرف بوادي الحجارة [١٠] ، وفي الثالثة قال : وادي الحجارة ، بلد بالأندلس [١١] .

إن الملاحظة الجديرة بالاهتمام من رواية ياقوت هو التعبيرات الجغرافية المختلفة عن مدينة وادي الحجارة ، فهو أولاً أطلق عليها كورة ثم مدينة ثم بلد ، فضلاً تسميتها ، اسماها أولا الحجارة وثانياً فرج وثالثاً وادي الحجارة .

أما ما يخص المدلول الجغرافي (كورة) فإن معظم الجغرافيين الذين أشاروا إليها ذكروا أنها مدينة [١٢] ، والكورة تعبير تمدني استخدمه الجغرافيون المسلمون للدلالة على مناطق أوسع من المدينة ، فقد أشار ياقوت إلى أن الكورة هي ((كل صقع يشتمل على عدة قرى ولا بد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها)) [١٣] ، ويشير مؤنس إلى أن الأندلس لم تعرف نظام الكور إلا في عهد متأخر وجاء مضطرباً عند الجغرافيين وذلك لأن التقسيم الإداري في الأندلس منذ حقبة قبل الإسلام (أي التقسيم الروماني والقوطي) كان قائماً على نظام المدن ذات الحوز ، لذلك فإن مصطلح الكورة ظهر على سبيل التجوز لا على أنه مصطلح إداري [١٤] .

وهذا ما جعل بعض الجغرافيين المسلمين يقعون ببعض الخلط عند استخدام مصطلحي الكورة والمدينة في الأندلس ، فمثلاً عندما تكلم المقدسي عن الأندلس قال : ((والأندلس يفصل بينهما بحر الروم غير إنّا نعجز عن تكوير الأندلس فتركناها على الجملة ووصفنا كورة قرطبة لمّا كثر المخبرون عنها واتّضح عندنا أمرها ، وعرضت كتابي على شيخ من مشايخهم فقال : على هذا القياس يجب أن تكون الأندلس ثماني عشرة كورة فعدّ بجّانة مالقة بلنسية تدمير سرقوسة يابسة وادي الحجارة تطيلة وشقة مدينة سالم طليطلة إشبيلية بطليوث باجة قرطبة شذونة الجزيرة الخضراء ، وسالت آخر فقال : صدق وزاد لبيرة خشنبة ، ويجوز أن يكون بعض هذه البلدان نواحي قياساً على إيلاق وكشّ والصغانيان والله أعلم بالصواب)) [١٥].

وكان ياقوت (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) الذي جاء متأخراً أكثر إدراكاً لخصوصية المصطلحات الجغرافية الأندلسية ، فعندما عرّف (الإقليم) ودلالاته في المشرق قال : ((لأهل الأندلس خاصّة ، فإنهم يسمّون كل قرية كبيرة جامعة إقليماً ، وربما لا يعرف هذا الاصطلاح إلاّ خواصُّهم ، وهذا قريب مما قدَّمنا حكايته عن حمزة الأصفهاني [١٦] ، فإذا قال الأندلسي : أنا من إقليم كذا ، فإنه يعني بلدةً ، أو رستاقاً بعيَنه)) [١٧] ، وقال : إن (شنت) بالأندلس تعني ((البلدة أو الناحية لأنها تضاف إلى عدة أسماء)) [١٨] ، ومن المصطلحات الجغرافية الخاصة بالأندلس ما ذكره ياقوت عن الفحص ، قال : إن بأرض ((الأندلس مواضع عدة تسمى الفحص ، وسألت بعض أهل الأندلس : ما تعنون به ؟ فقال كل موضع يُسكن سهلاً كان أو جبلاً بشرط أن

يُزرع نسميه فحصاً ثم صار علماً لعدة مواضع)) [١٩] ، كما أن كلمة (منت) تعني عند أهل الأندلس جبل كما تقول جبل كذا وكذا[٢٠] .

ويخلص مؤنس إلى القول أن هناك أقساماً إدارية تسمى مدناً ولها أحواز فسيحة فيها مدن كبيرة وقرى وحصون ، وهذا شيء لا شبه له في المشرق ، فالمدينة هناك مدينة ولا زيادة وهي تتبع الكورة ، وهذا النوع من المدن يظهر بصورة واضحة في الثغور الشمالية والغربية من الأندلس في حوض نهر ابره Rio Ebro ، وما بين ابره وتاجه ، وفي حوض نهر تاجه ، أي السياج الثغري الذي يبدأ بطرطوشة Tortosa ماراً بوشقة Huesca وتطيلة فسرقسطة Seragosa ثم مدينة سالم Medinaceli ثم ينحدر جنوباً نحو طليطلة ثم غرباً إلى لشبونة على البحر المحيط [٢١] .

ومن هناك يمكن أن نفهم ما ورد من اختلاف في المصطلحات الجغرافية عن مدينة وادي الحجارة ، فهي تشبه الكورة كاصطلاح مشرقي لأنها تضم العديد من المدن والنواحي والقرى والحصون ، فعندما تحدث مؤلف مجهول عن وادي الحجارة قال : ((وبها مدن وحصون منها مدينة مجريط ومدينة طلمنكة ومدينة مكادة ومدينة أنيشة ومدينة بوجة ... وحدها ينتهي على حد بطليوس...)) [٢٢] ، وقال ياقوت : إن أستوريس Asturias حصن من أعمال وادي الحجارة [٢٣] .

أما وادي الحجارة كمدينة والذي ورد عند معظم الجغرافيين المسلمين ، فهي تعني المدينة الأم بخططها وأرباضها وأسوارها دون أقسامها الإدارية الأخرى ، فالاصطخري قال عنها : ووادي الحجارة مدينة هي وما حولها من المدن [٢٤] ، ووصفها ابن حوقل بالقول : ((وادى الحجارة مدينة كبيرة وثغر مشهور الحال مسوّر بجحارة ذات أسواق وفنادق وحمّامات وحاكم ومخلّف وبها يسكن ولاة الثغور ...)) [٢٥] ، فالوصف هنا للمدينة ذاتها ، وكذلك تكلم الإدريسي عن مدينة وادي الحجارة قائلاً : ((ومدينة وادي الحجارة حصينة حسنة كثيرة الأرزاق والخيرات جامعة لأسباب المنافع والغلات وهي مدينة ذات أسوار حصينة ومياه معينة ويجري منها بجهة غربيها نهر صغير لها ...))[٢٦] ، وردد الحميري ما جاء عند الإدريسي فقال : ((مدينة حسنة كثيرة الأرزاق جامعة لأشتات المنافع والغلات ، ولها أسوار حصينة ومياه معينة وبغربيها نهر صغير لها ...)) [٢٧] .

أما تسميتها بأنها بلد ، فإن البلد تعبير أراد به الجغرافيون الموضع الذي يمثل حلقة الوصل بن المدينة والقرية [٢٨] ، وهو اسم يطلق على الكورة [٢٩] ، والمقدسي يقول : المصر كل بلد حلّه السلطان [٣٠] ، وعليه فإن البلد هو المدينة وما يحيطها من مزارع وقرى وأراضي تابعة لها ، وهذه التسمية تنطبق أيضاً على مدينة وادي الحجارة لأنها تشمل المنطقة الممتدة من طليطلة حتى مدينة سالم [٣١] .

أما عن تسميتها بالحجارة كما ذكر ياقوت [٣٢] ، فيبدو أنه مشتق من طبيعة أرض المنطقة الجبلية الوعرة ، وأشار الاصطخري إلى مدن الثغر الأوسط الأندلسي ومنها وادي الحجارة أثر أبنيتها من الحجارة [٣٣] ، وقد علق ابن حوقل على ذلك بقوله : ((وادي الحجارة مدينة كبيرة وثغر مشهور الحال مسوّر بجحارة)) [٣٤] ، ولما كانت تسميتها بوادي الحجارة مستحدثة من قبل المسلمين فجاءت مطابقة لطبيعة أرضها .

وجاءت تسميتها بالفرج أو مدينة الفرج [٣٥] نسبة إلى بني الفرج بن سالم أول من نزل المنطقة – كما سيأتي بيانه _ ، أما وادي الحجارة فذهبت بعض المصادر أنها جاءت من اسم النهر الذي تقع عليه المدينة والذي أطلق عليه المسلمون نهر وادي الحجارة [٣٦] .

تقع مدينة وادي الحجارة تحت جبل الشارات في منطقة الثغر الأوسط الأندلسي ، ذلك أن جبل الشارات يبدأ من المغرب ويذهب مشرّقا مع آخر الجزء من شماليّه فينتهي إلى مدينة سالم فيما بعد النّصف منه وتحت هذا الجبل طليرة في الشّرق ثمّ طليطلة ثمّ وادي الحجارة ثمّ مدينة سالم [٣٧] ، وهي من طليطلة على مسافة خمسين ميلاً وإلى شرقها أيضاً مدينة سالم خمسين ميلاً [٣٨] ، وعلى الرغم من طبيعة أرضها الجبلية إلا أن وفرة المياه فيها أدى إلى قيام زراعة فيها لاسيما الأشجار مثل الكروم والزعفران ، وقد أشار الإدريسي إلى ذلك بقوله : ((... كثيرة الأرزاق والخيرات جامعة لأسباب المنافع والغلات وهي مدينة ذات أسوار حصينة ومياه معينة ويجري منها بجهة غربيها نهر صغير لها عليه بساتين وجنات وكروم وزراعات وبها من غلات الزعفران الشيء الكثير يتجهز به منها ويحمل إلى سائر العمالات والجهات ...)) [٣٩] .

ثانياً : التاريخ السياسي لمدينة وادي الحجارة :

مدينة وادي الحجارة إسلامية النشأة والتسمية ، إلا أنه يُعتقد أنها قامت على آثار مدينة رومانية قديمة ، وحسب المصادر الأسبانية فأن المنطقة القريبة من الجسر العربي القديم كانت تسمى Alcalleria وتكتب أحياناً Alcarria أي القرية أو (الكرائية) ، وفي هذا المكان انشأ المسلمون المدينة [٤٠] ، وذكر مؤلف مجهول أن ترجالة Trujilla [٤١] ووادي الحجارة هما أقدم موضع في البلاد [٤٢] ، فلعله يشير إلى تلك الآثار .

أما متى فتح المسلمون المنطقة ، فيبدو أن هناك بعض الاختلاف في تحديد تاريخ ذلك ، فابن عبد الحكم قال : أن طارقاً لما فتح طليطلة طلب مائدة سليمان فقيل له أنها بقلعة يقال لها قلعة فراس مسيرة يومين من قرطبة Cordoba فعندما غنمها رجع إلى طليطلة حتى وافاه موسى [٤٣] ، أما ابن القوطية فذكر أن طارقاً بعد فتحه طليطلة تقدم إلى الفج المعروف بفج طارق الذي منه دخل جليقية ، فخرق جليقية Galicia حتى انتهى إلى استرقة Astorga ووافاه موسى فيها [٤٤] ، فيما أشار مؤلف مجهول في كتابة أخبار مجموعة أن طارقاً بعد فتحه مدينة طليطلة سلك طريق وادي الحجارة ثم قطع الجبل وبلغ خلف الجبل مدينة تسمى مدينة المائدة ثم مضى إلى أمايا Amaya فأصاب بها حلياً ومالاً ثم رجع إلى طليطلة سنة ٩٣هـ/٧١١م [٤٥] ، ووافقت رواية ابن عذاري رواية ابن عبد الحكم بالقول أن طارقاً لما فتح مدينة المائدة وغنمها رجع إلى طليطلة وأقام بها حتى وافاه موسى قال : ((هكذا آثر الناس هذا كله)) [٤٦] .

وجمع ابن حيان الروايتين أعلاه ، فأشار المقري عن ابن حيان قوله : ((وانتهى طارق إلى طليطلة دار مملكة القوط ، فألفاها خالية قد فرّ أهلها عنها ولجأوا إلى مدينة بها خلف الجبل ، فضم اليهود إلى طليطلة ، وخلف بها رجالاً من أصحابه ، ومضى خلف من فرّ من أهل طليطلة فسلك إلى وادي الحجارة ، ثم استقبل الجبل فقطعه من فج سمّي به بعد ، فبلغ مدينة المائدة خلف الجبل ... فأحرزها عنده ، ثمّ مضى إلى المدينة التي تحصّنوا بها خلف الجبل ، فأصاب بها حلياً ومالاً، ورجع ولم يتجاوزها إلى طليطلة سنة ثلاث وتسعين ،

وقيل : إنّه لم يرجع ، بل اقتحم أرض جلّيقية واخترقها حتى انتهى إلى مدينة استرقة ، فدوخ الجهة ، وانصرف إلى طليطلة)) [٤٧] .

نحن أمام روايتين ، الأولى أشارت إلى أن طارقاً بعد أن فتح مدينة المائدة استمر في التقدم شمالاً حتى استرقة ، والثانية ذهبت إلى أنه عندما فتح مدينة المائدة رجع إلى طليطلة ، وترجح معظم المراجع الحديثة إلى أن طارقاً قبل لقائه بموسى لم يتجاوز مدينة المائدة وأن رجوعه إلى طليطلة كان في سنة ٩٣هـ/٧١١م [٤٨] ، وعلق مؤنس على ذلك بقوله : ((ويستبعد أن يكون طارق قد سار إلى أمايا واسترقه في ذلك الحين كما يزعم بعض المؤرخين ، لأن الشتاء كان قد اقترب ، وكان الإجهاد قد نال من المسلمين وثقلوا بالغنائم)) [٤٩] ، ونحن نرجح ذلك لأن استرقه (ولفظت أيضاً اشترقه) عدها الإدريسي ضمن بلاد جليقية [٥٠] ، وهي من المناطق التي حاول موسى فتحها إلا أن استدعاء الخلافة له حال دون استكمال ذلك [٥١] .

ومدينة المائدة التي فتحها طارق هي نفسها قلعة هنارس Henares الواقعة على نهر هنارس الذي اسماه المسلمون نهر وادي الحجارة [٥٢] ، والتي تقع إلى الجنوب من موقع مدينة وادي الحجارة [٥٣] ، وهذا يعني أن طارقاً لم يصل مدينة وادي الحجارة سنة ٩٣هـ / ٧١١م ، وإنما كان فتحها في بداية سنة ٩٤هـ/ ٧١٢م ، ففي طليطلة تدارس القائدان خطة الفتح حيث قررا أن يسير طارق بقواته شمالا تاركاً موسى بن نصير إكمال فتح المناطق الأخرى ، وقد سلك طارق الطريق الروماني القديم الذي يربط طليطلة بسرقسطة حيث تكمن من فتح جميع المدن الواقعة على هذا الطريق ومن ضمنها منطقة مدينة وادي الحجارة [٥٤] .

أما القبائل التي استوطنتها ، فإن حوض نهر تاجه والمنطقة الممتدة على روافده شمال طليطلة من أوسع مناطق استيطان القبائل البربرية في الأندلس ، ويأتي نزولهم في هذه المناطق الجبلية بمحض إرادتهم إذ أنهم فضلوا الاستيطان في الأماكن التي تشابه أماكن استيطانهم الأصلية في شمال إفريقية [٥٥] ، وفي ذلك يقول المقري إن : ((العرب و البربر كلما مرّ قوم منهم بموضع استحسنوه وحطوا به ونزلوا قاطنين)) [٥٦] ، كانت خطة طارق بن زياد عند فتحه للمناطق التي يمر عليها أن يضع في كل بلد بعض من حرسه و حاميته فضلاً عن بعض اليهود الذين أعانوا المسلمين في أول الفتح ، وقد صار ذلك كما يقول الرازي (سنة متبعة في كل بلد يفتحونه) [٥٧] ، فنزل أحد رجالات البربر وهو سالم بن ورعمال بن وكذات بن أكلله بن مقر بن اكلل بن مسالة بن ناكور بن يوطافان بن مسقاط بن مصاذ بن مصمودة [٥٨] ، في أطلال المدينة الرومانية القديمة التي كانت تدعى اوسيلس (Ocilis) [٥٩] ، حيث عمل على ترميمها واسكنها أسرته ، وسيطر بنو سالم على المنطقة المحصورة بين مدينة سالم وأصبحوا أمراء فيها ، وفي ذلك يقول اليعقوبي : إنه ((من طليطلة لمن أخذ مشرّقاً إلى مدينة يقال لها وادي الحجارة ، كان عليها رجل من البربر ، يقال له مبتل بن فرج الصنهاجي يتولاها يدعو لبني أمية ، ثم صار ولده وذريته بعده إلى هذه الغاية)) [٦٠] ، وأضاف الاصطخري أن ((ووادي الحجارة مدينة وما حولها من المدن تعرف بمدن بني سالم)) [٦١] ، ثم جاءت رواية ابن حزم لتزيد الأمر وضوحاً إذ قال : ((وبنو سالم ، الذين تنسب إليهم مدينة سالم ، وتنسب مدينة الفرج إلى ابنه الفرج بن سالم)) [٦٢] ، قال : وهؤلاء كانوا الأمراء بالثغر [٦٣].

إن الروايات أعلاه تقودنا إلى البحث عن تاريخ نزول بني الفرج بن سالم منطقة مدينة وادي الحجارة ، لأن ذلك له علاقة أيضاً بتاريخ تأسيس المدينة في العهد الإسلامي .

رواية ابن حزم أعلاه أشارت إلى أن سالم بن ورعمال المصمودي هو من نزل مدينة سالم فنُسِبت إليهم ، قال وتُنسب مدينة الفرج إلى ابنه الفرج بن سالم [٦٤] ، ولم تذكر الرواية متى نزل سالم بن ورعمال ، المعروف أن غالبية الجيش الذي دخل شبه الجزيرة الأيبيرية مع طارق بن زياد كان من البربر [٦٥] ، إلا أن تيار هجرة البربر إلى الأندلس استمر بحكم القرب الجغرافي ، وفي ذلك قال المقري : ((وتسامع الناس من أهل برّ العدوة بالفتح على طارق بالأندلس وسعة المغنم فيها ، فأقبلوا نحوه من كل وجه ، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر، فلحقوا بطارق ، وارتفع أهل الأندلس عند ذلك إلى الحصون والقلاع ، وتهاربوا من السهل ولحقوا بالجبال)) [٦٦] فغلب البربر على مناطق واسعة من البلاد ، إلا أن أوسعها انتشاراً كان الخط الذي يبدأ من نواحي جبال البرت Pyrenees عند لاردة Leride ووشقة ثم ينحدر إلى مدينة سالم ثم دائرة المدن الحيطة بها والتي تمتد إلى أحواز طليطلة [٦٧] ، ومعظم من نزل هذه المناطق كانوا أمراء في مناطقهم [٦٨] .

وعلى الرغم تيار الهجرة البربرية إلى للأندلس لم ينقطع على مدى حقب التاريخ الأندلسي ، إلا أن ذلك التدفق الكبير الذي أعقب الفتح أخذ يخف في أعقاب الفتنة التي قامت في الأندلس في نهاية عصر الولاة وقيام الحرب الأهلية بين العرب أنفسهم (القيسية واليمنية) ثم وبينهم وبين البربر ، ومما زاد في اضطراب الأمور ظهور المجاعة ، وما أعقب ذلك من نزوح أعداد كبيرة من البربر من ثغور الأندلس في هجرة عكسية أعادة انتشارهم مرة أخرى في مناطق الأندلس ، وفضل بعضهم العبور إلى إفريقية ، وقد علق مؤلف مجهول على ذلك بقوله : إن موقعة شقندة التي حدثت سنة ١٣٠هـ/ ٧٤٧م كانت قاطعة الأرحام أعقب الله أهل الأندلس بعدها بالجوع والقحط فأخرج النصارى المسلمين من جليقية كلها ((وتنصر كل مذبذب عن دينه ، وضعف عن الخراج ، وقتل من قتل ، وصار فلهم إلى خلف الجبل إلى أسترقة وغيرها ، وانضم الناس إلى ما رواء الدرب الآخر والى قورية وماردة سنة ست وثلاثين ، واشتد الجوع ، فخرج أهل الأندلس إلى طنجة وأصيلا ... فكانت إجازتهم من وادي بكورة شذونة يقال له : وادي برباط ، فتلك السنون تسمى : سني برباط)) [٦٩] .

يمكننا أن نرجح أن نزول بني سالم بن ورعمال المصمودي في مدينة سالم والمنطقة المحيطة بها وبسط سيادتهم عليها (أي أمراء فيها) في المدة بين فتح المنطقة من قبل طارق في سنة ٩٤هـ/٧١٢م إلى قبيل أحداث الفتنة سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م ، ولعل سالم بن ورعمال كان من رجال طارق ثم لحق به قومه .

أما الفرج الذي نُسبت إليه مدينة الفرج (وادي الحجارة) ، فقد ذكر ابن حزم أنه ابن سالم [٧٠] ، ولا خلاف حول الفرج هذا ، فابن الخطيب عندما تكلم عن أحد أحفاده قال : مالك بن عبد الرحمن بن علي بن الفرج بن أرزق بن سعد بن سالم بن الفرج المنزل بوادي الحجارة بمدينة الفرج المنسوبة إليه الآن [٧١] ، وفي رواية لابن حيان ذكر فيها أحد ولاة الثغر وهو الفرج بن مسرة بن سالم توفي سنة ٢١٧هـ/ ٨٣٢م [٧٢] ، ولكن هل أن الفرج بن سالم الذي ذكره ابن حزم هو نفسه الفرج بن مسرة بن سالم الذي أشار إليه ابن حيان وأن اسم الأب تركه ابن حزم واكتفى بذكر الجد ، هذا ما نرجحه لأنه يَبْعد أن يكون الفرج بن مسرة بن سالم المتوفى سنة ٢١٧هـ/ ٨٣٢م

هو نفسه الفرج بن سالم الذي ذكره ابن حزم والذي دخل الأندلس أثناء الفتح ، والراجح أن يكون اسم (مسرة) هو الذي أسقطه ابن حزم وذلك بنسبة الحفيد إلى الجد لشهرة الأخير لكونه المؤسس لمدينة الفرج (وادي الحجارة) .

يبقى أن نوضح متى قام الفرج بن مسرة بن سالم ببناء المدينة ، إن المصادر التي بين أيدينا لم توضح ذلك ، ولكن الراجح أن نزولهم مدينة سالم كان السابق ، ثم إنهم لما ازداد عددهم وربما هاجر إليهم العديد من أبناء جلدتهم لكونهم أصبحوا أمراء تلك المناطق ، تفرق أبناء وأحفاد سالم في المدن والقرى القريبة من مدينة سالم وفرضوا هيمنتهم عليها حتى عرفت تلك المناطق بمدن بني سالم [٧٣] .

والراجح أن بناء مدينة الفرج (وادي الحجارة) كان قبل سنة ١٩٤هـ/ ٨٠٩م ، لأن المصادر أشارت إلى أنه في هذه السنة كان الشاعر عباس بن ناصح [٧٤] في مدينة الفرج [٧٥] ورفع إلى الأمير الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ/ ٧٩٦-٨٢١م) استغاثة امرأة بالأمير لما أصابهم من هجمات النصارى بسبب انشغال الأمير الحكم بعصيان أهل ماردة Merida [٧٦] ، فصنع قصيدة جاء في أولها :

تململت في وادي الحجارة مسهراً أراعي نجوماً ما يردن تغوّرا
إليك أبا العاصي نضيت مطيّتي تسير بهم سارياً ومهجّرا
تدارك نساء العالمين بنصرة فإنّك أحرى أن تغيث وتنصرا [٧٧]

وقد علق ابن عذاري على ذلك بقوله : ((وفي سنة ١٩٤، غزا الحكم إلى أرض الشرك ، وكان السبب في هذه الغزاة أن عباس بن ناصح الشاعر كان بمدينة الفرج (وهي وادي الحجارة) ، وكان العدو ، بسبب اشتغال الحكم بماردة وتوجيه الصوائف إليها مدة من سبعة أعوام ، قد عظمت شوكته ، وقوى أمره ، فشن الغارات في أطراف الثغور ، يسبي ويقتل ، وسمع عباس بن ناصح امرأة في ناحية وادي الحجارة ، وهي تقول : (واغوثاه يا حكم ! قد ضيعتنا وأسلمتنا واشتغلت عنا ، حتى استأسد العدو علينا) فلما وفد عباس على الحكم ، رفع إليه شعرا يستصرخه فيه ، ويذكر قول المرأة واستصراخها به ، وأنهى إليه عباس ما هو عليه الثغر من الوهن والتياث الحال ، فرثى الحكم للمسلمين ، وحمى لنصر الدين ، وأمر بالاستعداد للجهاد ، وخرج غازياً إلى أرض الشرك ، فأوغل في بلادهم ، وافتتح الحصون ، وهدم المنازل ، وقتل كثيراً ، وأسر كذلك ، وقفل على الناحية التي كانت فيها المرأة ، وأمر لأهل تلك الناحية بمال من الغنائم ، يصلحون به أحوالهم ويفدون سباياهم ، وخص المرأة وآثرها ، وأعطاهم عدداً من الأسرى عوناً ، وأمر بضرب رقاب باقيهم ، وقال لأهل تلك الناحية وللمرأة : (هل أغاثكم الحكم؟) قالوا : (شفا والله الصدور ، ونكى في العدو ، وما غفل عنا إذ بلغه أمرنا! فأغاثه الله وأعز نصره)) [٧٨] .

وعلى الرغم من عدم وجود إشارة صريحة في المصادر إلى اسم والي مدينة الفرج (وادي الحجارة) آنذاك إلا أننا نرجح أنه كان الفرج بن مسرة بن سالم ، وذلك من خلال رواية ابن حيان التي ذكر فيها أن الأمير الحكم عندما سمع بالمرأة المستصرخة ((...وثب مشمراً ، فأعد للغزو بسرعة وخرج مبادراً فرج مدينة الفرج ، فدخل إلى بلد العدو من تلقائها ، ...)) [٧٩] ، وأشار في أحداث سنة ٢١٠هـ/ ٨٢٥م قال : ((وفيها غزا فرج بن

مسرة أرض العدو ، فافتتح حصن القليعة)) [٨٠] ، فالراجح أن فرج الذي بادره الأمير في مدينة الفرج هو والي المدينة الذي غزا في هذه السنة .

وأشار ابن عذاري إلى أن مسرة والد الفرج كان عاملاً على مدينة جيان Jaen [٨١] ، أما ابن حيان فاكتفى بالقول إن الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٥٢م) أمر ببناء المسجد الجامع بمدينة جيان وكتب بذلك إلى مسرة عامله [٨٢] ، ولا يستبعد ذلك لأن بني سالم كانوا من الولاة المخلصين لبني أمية في الأندلس واستمروا في ذلك – كما سنرى – ولكن اللافت للنظر هو كيف يولي الأمير عبد الرحمن الأوسط أميراً من البربر على منطقة غالبية سكانها من العرب [٨٣] ، ولعل ذلك عقوبة لهم بسبب ما أحدثوه من فتنة ، إذ علق ابن عذاري على ذلك بقوله : ((ومنها ثارت الفتنة أولا ...)) [٨٤] .

توفي الفرج بن مسرة بن سالم سنة ٢١٧هـ/ ٨٣٢م ، وجعل ابن حيان ذلك تحت عنوان (الوفاة لأولي النباهة في دولة الأمير عبد الرحمن بن الحكم) [٨٥] ، مما يعكس مكانته عند حكومة قرطبة ، ولم تشر المصادر التي بين أيدينا إلى من تولى مدينة الفرج (وادي الحجارة) بعده حتى سنة ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م ، إذ أشارت المصادر إلى أن على وادي الحجارة والٍ من بني الفرج بن سالم يدعى أزراق بن منتيل بن سالم حسب رواية ابن حيان والعذري [٨٦] ، أما اليعقوبي فذكر أن على وادي الحجارة ((رجل من البربر ، يقال له مبتل بن فرج الصنهاجي ، يتولاها يدعو لبني أمية ، ثم صار ولده وذريته بعده إلى هذه الغاية في البلد)) [٨٧] .

وواضح أن مبتل عند اليعقوبي يقابل منتيل بن سالم عند ابن حيان والعذري والاختلاف بسبب التصحيف ، ولكن نص اليعقوبي على قد من الأهمية ، إذ أشار النص إلى أن ولاة وادي الحجارة في أيامه هم ذرية مبتل (منتيل) ، ولما كان اليعقوبي انتهى من تأليف كتابه البلدان في حدود سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١م [٨٨] ، وعليه فالراجح أن مبتل (منتيل) هو ابن للفرج بن مسرة بن سالم وتولى مدينة الحجارة بعد وفاة والده ، وبعد وفاته (التي لم تحدد لنا المصادر ذلك) تولى ابنه أزراق بن منتيل .

كان بنو سالم من الولاة المخلصين لبني أمية في قرطبة ، يتضح ذلك من الاستقرار الذي حظيت به المنطقة على أيديهم ، وشاركوا في صد هجمات النصارى على المنطقة كما مرّ بنا في أحداث سنة ٢١٠هـ/ ٨٢٥م ، وقد وصف ابن حيان بنو الفرج بن سالم ولاة مدينة الفرج (وادي الحجارة) بالقول : وكانوا ((على طاعة للخلفاء موروثة)) [٨٩] .

وفي أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) تعاظم أمر موسى بن موسى القسوي [٩٠] وغلب على أكثر الثغر الأعلى مستغلاً انشغال الأمير محمد بثورة أهل طليطلة ، إلا أن الذي أفزع الأمير محمد هو حدوث تقارب بين موسى بن موسى القسوي وأزراق بن منتيل بن سالم صاحب مدينة الفرج (وادي الحجارة) ، إذ صاهر موسى بن موسى أزراق وذلك محاولة منه في استمالته إلى جانبه ضد حكومة قرطبة ، وكان موسى بن موسى يدرك قوة بني الفرج بن سالم وهيمنتهم على المنطقة بين مدينة سالم وطليطلة ، كما أنهم كانوا من أقوى حلفاء بني أمية في المنطقة ، إلا أن محاولته هذه باءت بالفشل ، وقد أشار ابن القوطية إلى هذه الأحداث بقوله : إن ((موسى بن موسى حشد فأتى إزراق بن منتيل ، صاحب وادي الحجارة وثغرها ،

وكان على طاعة موروثة للخلفاء ، وكان من أجمل الناس ، فلما نازله موسى بن موسى وتحرك إليه إزراق لمحاربته ، قال له موسى مشافهة : يا إزراق ، لم آت لمحاربتك ، إنما أتيت لمصاهرتك ، نشأت لي ابنة جميلة ليس بأندلس أجمل منها ، فأردت ألا أنكحها إلا من أجمل أحداث الأندلس ، وأنت هو ، فأجابه إزراق إلى ذلك ، وعُقد النكاح ، وتوجه موسى بن موسى راجعاً إلى ثغره ، وبعث إليه بزوجته ، فلما بلغ الخبر محمداً أقامه وأقعده ، وعلم أنه سيخسر الثغر الأدنى كما خسر الثغر الأقصى ، فوجه إليه أميناً يمتحن طاعته وما هو عليه ، فصرف الأمين وقال : سيظهر ما أنا عليه من الطاعة أو معصية ، فلما تشفى من زوجته خرج في نفر يسير من أتباعه ، فلم يسلك محجة ، ولا وقعت عليه أعين أحد يعرفه ، حتى وقف على باب الجنان ، فقامت في القصر ضجة ، وتبادر الفتيان إلى محمد يبشرونه ، فأمر بإيصاله وعنّفه على مصاهرة عدوه ، فأعلمه إزراق بالأمر كيف كان ، ثم قال له : ما يضرك أن يكون وليك يطأ ابنة عدوك ، إن أمكنني أن أستألفه بهذه المصاهرة إلى الطاعة فعلت ، وإلا أنا في جملة من يقاتله في طاعتك ، فاستندمه أياماً ثم حباه وكساه وصرفه ، فلما بلغ موسى بن موسى حشد إليه وحصره بوادي الحجارة فإن إزراق راقد في القصبة المطلة على نهر وادي الحجارة ، ورأسه في حجر زوجته ، وقد انتشر أهل وادي الحجارة إلى كرومهم وبساتينهم ، فدفع عليهم موسى بن موسى بمن معه ، فألقاهم في الوادي ، فسرت الجارية بوالدها ، فنبهت إزراق وقالت له : انظر ذلك السبع ما يعمل ، فقال لها : وكأنك تفخرين عليّ بأبيك ، أو هو أشجع مني ، أوَلا كرامة له ، ثم أخذ درعه فألقاها على نفسه ثم خرج ، فتلاحق بموسى ، وكان إزراق من أرمى الناس برمح ، فانتزعه بزرقة لم تحد قدمه ، فأحس منها ما أحس ، فعاد راجعاً ، فمات قبل أن يبلغ تطيلة)) [٩١] .

وهكذا أثبت أزراق بن منتيل صاحب وادي الحجارة ولاءه للدولة في قرطبة ولم يبال في سبيل ذلك قتال صهره ، ولم تشر المصادر التي بين أيدينا مدة حكم أزراق بعد هذه الحادثة ، وفي إشارة إلى استمرار ولائهم وطاعتهم ، أشار ابن حيان في حوادث ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م إلى أن أهل طيلطلة فارقوا الطاعة ، واختلفت أهواءهم ووثبوا على عاملهم فقتلوه ونفوا مسونة [٩٢] إلى مجريط فقتله عاملها عبيد الله بن سالم وأرسل برأسه إلى الأمير محمد بقرطبة [٩٣] ، وهذا الوالي هو سليل أسرة بني الفرج بن سالم الذين توارثوا حكم الثغر الأوسط [٩٤] .

ويبدو أن عهد الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) شهد نفور بين ولاة وادي الحجارة من بني سالم وبين الأمير عبد الله ، ولعل ذلك راجع إلى اضطراب الأمور في عهده ، فانضموا إلى أحد الداعين بالأمر من بني أمية المعروف بابن القط أبو القاسم أحمد بن معاوية بن هشام بن معاوية بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، قيل إنه كان من أهل العناية بالعلم والنجوم ، خرج في سنة ٢٨٨هـ/٩٠٠م يطلب الدولة ويظهر الحسبة والرغبة في الجهاد ، منتزياً على الأمير عبد الله بالعجز عما قلده الله عن الجهاد ، داعياً إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فصار بأرض الجوف ، وتجول بين قبائل البربر يدعوهم إلى جهاد الكفرة فاجتمع إليه خلق كثير قيل إنه بلغ ستين ألفاً ، وكان من بينهم أهل وادي الحجارة ، فاقتحم أرض جليقية وقصد مدينة سمورة Zamora [٩٥] فنازله فيها الملك أذفنش بن أرذون ، فهزمهم أول الأمر ، ثم خذله بعض رؤساء البربر فانهزموا ، فدارت الدائرة عليه وقتل [٩٦] .

وفي أوائل عهد الأمير عبد الرحمن الثالث (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) استغل النصارى انشغاله بالفتن الداخلية ولاسيما حركة ابن حفصون [٩٧] ، فهاجموا منطقة الثغر الأوسط ومنها بسائط مدينة الفرج (وادي الحجارة) وذلك سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م ، فتصدى لهم حاكمها من بني الفرج بن سالم واستطاع هزيمتهم وأرسل بشرى النصر إلى الأمير عبد الرحمن ، وكان الأمير آنذاك قد أعدّ لحملة لكبح اعتداءات النصارى ، قال ابن حيان : فلما كان في اليوم الرابع من فصوله عن قرطبة ورد عليه ((كتاب الفتح من عامل مدينة الفرج ، المعروفة بوادي الحجارة ، يذكر فيها أن أعداء الله المشركين من أهل جليقية ، دمرها الله ، أتوهم في جمع كثير ، فأغاروا على ما ألفوه من بسيطهم من الدواب والسوائم ، ثم أتوا حصناً لهم بقربهم يعرف بالقُليعة ، فأحدقوا به طامعين في التغلب عليهم ، فانحشد إليهم جميع أهل البلد فارسهم وراجلهم وواضعوهم القتال ، فأثبتوا بصائرهم ، فمنحهم الله أكتافهم وأطال أيديهم عليهم ، فقتلوا وأسروا كثيراً منهم وأتبعوهم في أول النهار إلى آخره ، والسيف يعمل فيهم ، وبعثوا بجملة من رؤوس أكابرهم ، فاستبشر الناصر لدين الله بما ورد عليه من ذلك)) [٩٨] .

ثم واصل الأمير عند الرحمن سيره فمرّ بمدينة طليطلة ثم عرج إلى مدينة الفرج (وادي الحجارة) بعساكره ، قال ابن حيان : ((وأهلها منقادون للطاعة ، فنظر في شأنهم وتحرى مصالحهم ، فعزل بني سالم عنهم ، إذ شكوا إليه بهم ، واستعمل عليهم مكانهم سعيد بن المنذر القرشي القائد ثقته ، وقدمه في محلته هذه إلى خطة الوزارة ... فاستخلف سعيد الوزير مكانه على وادي الحجارة ابن غزلان القرشي صهره ، واستقضى الناصر لدين الله على وادي الحجارة ، الفقيه محمد بن ميسور ، فصلحت أحوالهم ، وعمّ الرضا جميعهم ، وخرج للجهاد أكثرهم)) [٩٩] .

نلحظ هنا أنه على الرغم من أن بني سالم كانوا منقادين للطاعة ، وأبلوا بلاءً حسناً في الدفاع عن مدينتهم ضد هجمات النصارى وأرسلوا بشائر النصر إلى الأمير عبد الرحمن إلا أنه مع ذلك عندما وصل إلى مدينة الفرج (وادي الحجارة) عزلهم وعين من خاصته عليها ، وقد علل ابن حيان تصرف الأمير هذا بأن أهالي المدينة شكوا إليه بني الفرج بن سالم ، وربما حدث نوع من التذمر لاستبدادهم بالأمر بعد حكم طويل ، ولهذا عمل القاضي على إصلاح شأنهم ، ولكن هذا وحده لا يكفي لأن ينتزع منهم الحكم ، وهم أول من عمرّ المدينة قبل حوالي قرنين ، وما هو معروف عنهم بالطاعة لبني أمية طيلة تلك المدة ، فضلاً عن أن إرسالهم بكتاب الفتح للأمير عبد الرحمن عند تصديهم للنصارى هو تعبير عن الطاعة ، ولهذا نرى أن العامل المهم في عزلهم هو وقوفهم إلى جانب ابن القط الذي خرج على جده الأمير عبد الله ، وكان عبد الرحمن آنذاك فتى مقرباً من جده إذ تولى تربيته [١٠٠] .

ألا أن ما يثير الاستغراب هو أن ابن حيان أشار إلى أن والي مدينة الفرج (وادي الحجارة) سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م هو أرزاق بن ميسرة وعلى مدينة مجريط عبد الله بن محمد بن عبد الله [١٠١] ، ويرجح محمود علي مكي أن والي مدينة مجريط هذا هو حفيد عبيد بن سالم الذي تولى المدينة أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن [١٠٢] ، ولم يوضح ابن حيان من هو أرزاق بن ميسرة هل هو من بني الفرج بن سالم أم لا ، وهذا الاسم هو من الأسماء التي كانت سائدة عند بني الفرج بن سالم في مدينة الفرج (وادي الحجارة) وهو أيضاً يذكرنا بأحد ولاة المدينة

أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن أزراق بن منتيل بن سالم ، والراجح هو أن الأخير هو من بني الفرج بن سالم وأن الخليفة الناصر استعان بهم مرة أخرى إدارة شؤون مدينة الفرج (وادي الحجارة) كما هو الحال في مدينة مجريط ، إلا أن بني الفرج بن سالم لم نعد نجد لهم صدى في المصادر التي بين أيدينا في بقية عهد الناصر ، إذ أشار ابن حيان إلى ولاة على مدينة الفرج (وادي الحجارة) لا نعرف عنهم سوى أسماءهم .

ويبدو أن سياسة الناصر لدين الله الإدارية كانت قائمة على التغييرات السريعة في مناصب الولاة على المدن والنواحي في الأندلس ، يلحظ ذلك من قوائم العمال على المدن التي ذيلها ابن حيان نهاية كل سنة من سنوات حكم الناصر ، وقد استثنى الناصر من هذه التغييرات منطقة الثغر الأعلى التي اعتمد في إدارتها على الأسر المتنفذة فكان يزودهم بالعدد والسلاح ، ويغدق عليهم الصلات والهدايا من أجل الاستمرار في مدافعة النصارى [١٠٣] ، أما منطقة الثغر الأوسط فكان يوكلها إلى الثقات من أتباعه دون أن يمكنهم البقاء فيها لمدة طويلة ربما خوفاً من استبدادهم بالأمر ، فضلاً عن خطورة المنطقة بالنسبة لأمن الدولة كونها منطقة عبور واستراحة وإمداد للقوات المتجه شمالاً .

ولذلك نرى تغييرات عدة في ولاة مدينة الفرج (وادي الحجارة) خلال عهد الخليفة الناصر ، وأغلب وردت أسماؤهم هم مجهولين بالنسبة لنا لكون المصادر التي بين أيدينا لم تذكر عنهم شيئاً ، ففي سنة ٣٢١هـ / ٩٣٣م عزل عنها محمد بن إسحاق وولى سعيد بن وارث [١٠٤] ، وفي سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م عزل سعيد بن وارث بعثمان بن عبيد الله [١٠٥] .

وفي سنة ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م عمل الخليفة الناصر على إعادة بناء وتأهيل حصون مدينة طليطلة في منطقة الثغر الأوسط وذلك بسبب ازدياد خطر النصارى عليها ، فعند عودته من غزوة سرقسطة حلّ في مدينة الفرج (وادي الحجارة) ، قال ابن حيان : ((فتلوّم بمدينة الفرج ، راتقاً فتوقها ، مُسكناً حال أهلها ، وأبقى درِّيّا ، مولاه ، في الجيش الذي كان ضمه إليه قائداً بالثغر الأوسط ، مُصحراً ببقاعه ، متجولاً على دروب المسلمين ما بين حصن أنتيشة إلى مدينة طليبرة ، بعد أن نظم ما بينها بالرجال وأحكم ما وهى من حصونها وأبراجها ، وضعف من معاقلها مراقبها بمحكم البنيان ووافر الأزواد وأوسع العدد والأسلحة ، فضم المسلمون فيها غلاتهم ، واستيأس منهم عدوهم)) [١٠٦] .

ويفهم من هذه الرواية أن الخليفة الناصر قد أعاد بناء وتحصين مدينة وادي الحجارة ومدن الثغر الأوسط الأخرى وجعل مركز قيادة قائد الثغر الأوسط فيها ، ثم عزل واليها سعيد بن وارث بعبد الرحمن بن درّي مولاه [١٠٧] .

وفي سنة ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م منيت قوات الخليفة الناصر بهزيمة كبيرة أمام القوات النصرانية في موقعة الخندق Alhandiga ، وفي رواية لابن حيان أن الناصر أراد التقدم على نهر دويرة Rio El Duero إلى شنت اشتبين San Esteban لقلة الزروع والتعلف عنده ، إلا أن أهل مدينة الفرج رفعوا إليه يشكون ما يلقونه من نصارى وادي أسة [١٠٨] ومعاقلها ، وتضرعوا إليه أن يجعل ممر الجيش على حصونهم وعمارتهم لأن ذلك أنفع لهم ولأهل الثغور عندها صرف جيشه نحو وادي أسة وهدم حصونه وقراه ، فلما جاوزه أشرف على خنادق وعرة

وكمن له فيها النصارى وأوقعوا به الهزيمة ، وانسحب هو ببعض جنده نحو مدينة الفرج (وادي الحجارة) وبعد استراحة قصيرة غادرها إلى قرطبة [١٠٩] ، ثم عمل على عزل عاملها محمد بن يزيد وولى مكانه مطرف بن موسى [١١٠] ، الذي لم نعرف عنهما شيئاً في المصادر المتوفرة لدينا ، وكان لضياع أجزاء عديدة من كتاب المقتبس لابن حيان خسارة كبيرة للتاريخ الأندلسي لاسيما بالجانب الإداري إذ كان يختم أحداث كل سنة بمن تولى الأندلس من العمال والولاة .

وفي عهد الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م) أشار ابن حيان إلى أن أهالي مدينة الفرج (وادي الحجارة) رفعوا شكوى ضد قائدهم رشيق بن عبد الرحمن ، فأرسل الخليفة الحكم القاضي عبد الملك بن المنذر بن سعيد[١١١] والخازن أحمد بن محمد الكلبي ليتعرفا على حقيقة ما رفعه أهلها على قائدهم فينصفانهم منه وذلك سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م [١١٢] ، وعلى الرغم من أنه لم يوضح نتيجة التحقيق بالأمر إلا أن ذلك يعكس اهتمام الخليفة الحكم المستنصر بأمور الرعية ويستمع إلى شكواهم على العمال والولاة .

وفي سنة ٣٦٤هـ/ ٩٧٤م كان وفد من أهل مدينة الفرج (وادي الحجارة) قد شاركوا في احتفال كبير أقامه الخليفة الحكم المستنصر بمناسبة قدوم قائده غالب بن عبد الرحمن[١١٣] من العدوة المغربية منتصراً [١١٤] .

وفي أيام المنصور بن أبي عامر (٣٦٦-٣٩٢هـ / ٩٧٦- ١٠٠١م) وابنه عبد الملك المظفر (٣٩٢-٣٩٩هـ / ١٠٠١-١٠٠٨م) ازدادت أهمية منطقة الثغر الأوسط الأندلسي ، فقد قاد المنصور بن أبي عامر خلال مدة حجابته للخليفة هشام المؤيد بن الحكم أكثر من خمسين غزوة [١١٥] ، فيما بلغت غزوات ابنه عبد الملك ثمان غزوات [١١٦] ، وكانت هذه الحملات العسكرية تسلك في معظمها الطريق التقليدي الذي يبدأ بقرطبة ثم قلعة رباح فطليطلة فمجريط فوادي الحجارة فمدينة سالم ، ومن هذه الثغور تتجه القوات إما غرباً باتجاه جليقية أو شمالاً باتجاه نافار Navarra وبلاد البشكنس Bascons أو نحو الشمال الشرقي باتجاه برشلونة Barcelona وأراغون Aragon ، وعلى الرغم من عدم ذكر المصادر تفاصيل خط سير القوات ، إلا أن معظم الهجمات التي كانت تتجه نحو قشتالة Castilla وليون Leon لابد لها أن تمر بهذه المناطق .

ففي غزوة سنة ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م نزل المنصور بن أبي عامر في مدينة وادي الحجارة وتجمعت فيها الجيوش وقبض فيها على عبد الرحمن بن مطرف التجيبي الذي تآمر مع عبد الله بن المنصور بن أبي عامر وعبد الله بن عبد العزيز المرواني[١١٧] ، وبعد أن تمكن من المتآمرين غزا قشتالة وأرض البشكنس [١١٨] .

وبعد سقوط الدولة العامرية قامت في بلاد الأندلس ما يعرف عند مؤرخيها بأيام الفتنة والتي امتدت من سنة (٣٩٩ – ٤٢٢هـ / ١٠٠٨ – ١٠٣٠م) [١١٩] ، وعلى إثرها استغل النصارى هذه الأوضاع للتوسع على حساب أراضي المسلمين ، ومن جانبهم فقد التجأ معظم أمراء وحكام المسلمين آنذاك إلى النصارى لمحاربة بعضهم البعض ، فمنذ الأيام الأولى من الفتنة غدت منطقة الثغر الأوسط مسرحاً لحروب مدمرة بين المتصارعين على السلطة محمد بن هشام المهدي (٣٩٩-٤٠٠هـ/ ١٠٠٨-١٠٠٩م) وسليمان بن الحكم المستعين (٤٠٠-٤٠٦هـ/ ١٠٠٩-١٠١٥م) وتنافس الطرفان في استدعاء النصارى ، ودار جند الثغر

وقائدهم واضح الفتى ظهرهم نحو قرطبة وأعانوا محمد المهدي على سليمان المستعين وأنصاره من البربر ، وأصبح جند الثغر بدل من أن يحمي الثغور من النصارى يقاتل بعضه بعضاً على أرضهم ، واستغل النصارى ذلك أعظم استغلال ، واستولوا على العديد من الحصون لقاء تقديم العون .

ومن الأحداث التي مرّت بها مدينة الفرج (وادي الحجارة) أثناء الفتنة هو أن سليمان المستعين ومعه البربر بعد هزيمتهم من قرطبة توجه نحو الثغر ، وكانت مدن الثغر آنذاك في طاعة واضح الصقلبي والخليفة محمد المهدي ، فدعا سليمان المستعين أهل وادي الحجارة الدخول في طاعته فرفضوا ذلك ، إلا أنه هاجم المدينة وتمكن من اقتحامها وانتهبها جنده البربر واستباحوا أهلها بسبب طاعتهم محمد المهدي ، وكان واضح الصقلبي في مدينة سالم فزحف إليه سليمان المستعين والبربر ووقعت الحرب بينهم ، وتمكن واضح من محاصرة البربر ، وصمد كل فريق أمام صاحبه ، ثم استعانوا بالنصارى كل يطلب النصرة على الآخر ، ومن طريف ذلك ما ذكره ابن عذاري ، قال : ((ونادى منادي واضح في سائر الثغور من حمل شيئاً من الطعام إلى محلة البربر فقد حلّ ماله ودمه فقاموا خمسة عشر يوماً يعيشون بحشيش الأرض فلما اشتد ذلك عليهم أرسلوا إلى ابن مامه النصراني يقولون له قد علمت ما بيننا وبين واضح وابن عبد الجبار فإن أنت رغبت في صلحنا ومسلمتنا فنحن معل عليهما فمضت رسلهم إلى ابن مامه دونه فوجدوا عنده رسل ابن عبد الجبار ورسل واضح يسألانه الصلح معهما على أن يعطياه ما أحب من مدائن الثغر ... فأجاب ابن مامه دونه للبربر على أن يعطيه البربر إذا ظفروا ما أحب من مدائن الثغر فقبلوا ذلك منه ...)) [١٢٠] ، وكان من أهم نتائج ذلك الصراع أن أتت الحروب على العديد من مدن الثغر بالخراب ومنها مدينة وادي الحجارة ، وقد علق ابن عذاري على ذلك بقوله : ((وكان البربر أيضاً لما طردوا من قرطبة وقُتِلوا بها قد خربوا مدناً كثيرة وقتلوا أكثر أهلها ولم يسلم منها إلا طليطلة ومدينة سالم وبلغت خيلهم أقطارهما وما وراءهما حتى أن الراكب يمشي شهوراً لا يرى أحدً في طريق ولا قرية ، وسمع اللعين ابن شانجه بما سُلّم اللعين ابن مامه دونه من الحصون فكاتب يطلب حصوناً أخر وتوعد وتهدد فأُجيب إلى ما سأل من ذلك وكُتب بتسليمها إليه ...)) [١٢١] .

وخلال النصف الأول من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي غدت معظم مدن ثغور طليطلة التي بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن ومنها مدينة الفرج (وادي الحجارة) قد ضعفت وأصبحت مهددة من قبل النصارى ، ولم ينقذها آنذاك إلا انشغال أسبانية النصرانية بحروبها الداخلية في النصف الأول من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي [١٢٢] .

أصبحت طليطلة وأعمالها (ومنها وادي الحجارة) في عهد الطوائف Taifas, Los تحكم من قبل بني ذي النون (٤٢٧-٤٧٨هـ/ ١٠٣٥-١٠٨٥م) إلا أنهم ودخلوا في خصومات مع جيرانهم من دويلات الطوائف ، فوقع نزاع بين المأمون بن ذي النون (٤٣٥-٤٦٧هـ/ ١٠٤٣-4١٠٧م) وبين سليمان بن هود (٤٣١-٤٣٨هـ/ ١٠٣٩-١٠٤٦م) صاحب سرقسطة حول سلسلة المدن والقلاع الواقعة بين الدولتين ولاسيما مدينة وادي الحجارة ، وعلى الرغم من أنها من أعمال مدينة طليطلة إلا أن ابن هود أرسل قواته إليها وانتزعها وهزم قوات بني ذي النون ثم طارده حتى طلبيرة ، وللانتقام من ابن هود راسل ابن ذي النون ملك قشتالة فرناندو

الأول Fernando I (٤٢٦-٤٥٨هـ/١٠٣٤-١٠٦٥م) وأقر بسيادته ودفع له الجزية مقابل أن يهاجم أراضي ابن هود ، وفعلاً قام الأخير بمهاجمة أراضي مدينة سرقسطة في وقت الحصاد وانتسف زروعها وخرب أراضيها ، من جانبه سعى ابن هود إلى فرناندو الأول ودفع له أموالاً طائلة على أن يغير على أراضي ابن ذي النون فاستجاب إلى دعوته فبث قواته مخترقة أراضي طليطلة حتى وصلت إلى وادي الحجارة وأمعنت فيها تخريباً ، كما حالف ابن هود ملك نافار وهاجموا مدينة سالم واستولوا على العديد من حصونها ، ولم يردهم إلا بعد دفع طليطلة أموالاً كثيرة وبشرط قاسية ، وعن هذه الفتنة يقول ابن الخطيب ((ودامت الفتنة بين هذين الأسدين المشؤومين على المسلمين من سنة خمس وثلاثين إلى سنة ثمان وثلاثين وفورقت بموت سليمان بن هود منهما)) [١٢٣] وهكذا استباح النصارى أراضي الدولتين بأموالهما وانهارت خطوط الدفاع وساءت أحوال الثغور من وطأة الحروب وثقل الجباية .

وكان فرناندو الأول ملكاً طموحاً وقد أدرك مدى الضعف الذي وصل إليه أمراء الطوائف بالأندلس ، فأخذ يشن الغارات على نواحي الأندلس المختلفة ، وكانت سلسلة مدن الثغر الأوسط بين مدينة سالم وطليطلة هدفاً مهماً له لكونها تقع محاذية لمملكته ، فخرج في سنة ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م في جيش من الفرسان والرماة وانقض على أراضي مملكة طليطلة الشمالية ، منها مدينة سالم وطلمنكة Talamaca ووادي الحجارة وعاث فيها تخريباً وسبياً ولم ينقذها منه إلا تعهد المأمون بن ذي النون بدفع الجزية له واعترافه بطاعته [١٢٤] .

وأشار ابن الكردبوس إلى أنه في سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م ((خرج من الأرض الكبيرة [١٢٥]جيوش كثيرة ، فانتشر جميعهم على الجزيرة يقتلون ويأسرون ... وقصدوا وادي الحجارة فلقيهم قائدها ابن الكناني فهزموه وأثقلوه جراحاً ، ووثب البيطين[١٢٦] فألقى على الثوار الجزية فأدوها على رغم أنوفهم ، وذلك وأيم الله أعظم من لقاء جيوشهم)) [١٢٧] ، ولعل ابن الكناني هذا هو أحد ولاة المدينة استقل بها وتولى الدفاع عنها عندما ضعف بني ذي النون في طليطلة ، كما أن هؤلاء الغزاة كانوا من النورمانديين الذين شاركوا في الحملة الصليبية على مدينة بربشتر Barbastro شمالي سرقسطة سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م [١٢٨] .

وفي سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م توفي الملك القشتالي فرناندو الأول وأعقب ذلك انقسام بين أبنائه إلا أن ذلك لم يدم طويلاً إذ سرعان ما برزت شخصية الفونسو السادس Alfonso VI القوية (458-٥٠٢هـ/ ١٠٦٥-١١٠٨م) والذي تمكن من توحيد صفوف النصارى تمهيداً لتنفيد مشروعه التوسعي في الأندلس ، وفي المقابل كان حاكم طليطلة يحيى بن ذي النون الملقب بالقادر كما قال ابن بسام : ((... أجبن من قبره ، إن حزم لم يعزم ، وإن سدى لم يلحم ...)) [١٢٩] ، وقال عنه ابن الكردبوس : ((ضعيف المنية قليل المعرفة ، ربي في أحجار النساء والدايات ، ونشأ بين الخصيان والغانيات))[١٣٠] ، فأرهقه الفونسو السادس بالمغارم والجزية وأجبره على تسليم العديد من الحصون التابعة لمدينة طليطلة ، فتنازل له عن عدد من الحصون أهمها حصن سرية [١٣١] وحصن قورية Coria وحصن قنالش Caniles وكان ذلك سنة ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م [١٣٢] ، وكان الأخير من الحصون التابعة إلى مدينة وادي الحجارة [١٣٣] .

بعد هذه الأحداث غدا موقف القادر ضعيفاً جداً وتحت رحمة الفونسو السادس الذي بدأ منذ سنة ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م يعد العدة للاستيلاء على طليطلة عن طريق شن الغارات المتكررة على ثغورها المتبقية وتجريدها من مواردها ، ولم تجد صرخات القادر بن ذي النون بالاستنجاد بأمراء الطوائف أذن صاغية سوى مما كان من المتوكل بن الأفطس الذي أرسل قوة في سنة ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م للتصدي لهجمات الفونسو السادس ، وقد أشار ابن بسام إلى أن المتوكل بن الأفطس طاف في مناطق الثغر يستنفرهم للدخول في طاعته لمواجهة النصارى فأجابه أهل مجريط ورفض دعوته أهل وادي الحجارة ، وقد امتدح موقف أهل مجريط هذا الشاعر أبو الخطاب عمر بن أحمد بن عطيون التجيبي الطليطلي[١٣٤] وذم أهل وادي الحجارة بقصيدة قال فيها :

بمثلك مِن مَولى ومثلي من عبدِ يرى الناس كيف المجد أو صفة المجدِ
رميت قصيَّ الثغر بالخيل شُزّباً هبطنَ على غوْر فأصعدن في نجد
فما شئته من لاحقٍ بطنه طوىً وأقرابُهُ نيطت إلى كفل نهد
وأقبلتها مجريط شُعْثاً كأنها كواسرُ عقبانٍ تقضيّن من فند
تدوسُ الإكام الجُردَ فترتمي سجوداً إلى أيدي سوابقك الجرد
فلما رأت مجريطُ وجهك أقبلتْ لعزّتك القعساء في ذلّة العبد
ومدّوا يد السلم الذي أنت ربُهُ إليك ولاذوا بالمواثيق والعهد
فأوسعتهم مناً بأمنهمُ وقد تطلّع سيفُ الإنتقام من الغمد
وما حامد من ذا الورى فعل حامدٍ وقد أبرزَ البَهْمَ الضعافَ إلى الأسد
كأني أرى وادي الحجارة قد جرى دماً بهمُ حتى يُعافَ عن الورد[١٣٥]

إلا أن المتوكل بن الأفطس لم يستطع مواجهة قوى النصارى فاضطر إلى الانسحاب بعد أن خاض معارك دامية معهم [١٣٦] .

وهكذا تُركت طليطلة تواجه مصيرها بنفسها ، وفي الوقت نفسه كان الفونسو السادس قد تلقى معنوياً وعسكرياً كبيراً من قِبل النصارى ، فقد باركت البابوية خطوته ودعت أتباعها إلى الجهاد معه ، فتوافدت الحشود من معظم أنحاء أوربا ولاسيما فرنسا [١٣٧] ، وفي سنة ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م زحفت القوات النصرانية بقيادة الفونسو السادس وضربت الحصار على طليطلة ، وعبثاً حاول الأهالي المقاومة ، وقد أرهقهم الحصار وانقطعت عنهم المؤن حتى اضطروا إلى تسليم المدينة في محرم من سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م [١٣٨] .

ما أن تمكن الفونسو من دخول طليطلة حتى سارع بضم جميع حصونها وتوابعها إليه ، فأرسل قائده البرهانس Alvar fanez [١٣٩] ((فشن غاراته على جميع أعمالها ، حتى فاز باسخلاص جميع أقطار ابن ذي النون واستئصالها ، وذلك ثمانين منبراً ، سوى البنيات ، والقرى المعمورات ، وحاز من وادي الحجارة إلى طلبيرة ، وفحص اللج وأعمال شنتمرية كلها)) [١٤٠] ، وعليه فإن سقوط مدينة الفرج (وادي الحجارة) كان سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م وبعد سقوط مدينة طليطلة .

جرت فيما بعد بعض المحاولات من قبل المسلمين لاستعادة مدينة وادي الحجارة إلا أنها لم تفلح ، ففي سنة ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م عبر الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠-٥٣٧هـ / ١١٠٦-١١٤٢م) إلى الأندلس برسم الجهاد ، فوصل إلى قرطبة ومنها اتجه إلى طليطلة وتجول في أحوازها وفتح من ثغور طليطلة مدن طلبيرة ومجريط ووادي الحجارة ثم ضرب حصاراً على طليطلة لمدة ثلاثة أيام ثم رجع إلى قرطبة [١٤١] ، ويبدو أنها مجرد استعراض للقوة أثارت الرعب في نفوس الأعداء ، وقد علق ابن الكردبوس على ذلك بقوله : ((وداخل أهل قشتالة الخوف والجزع وخامر قلوبهم الفزع ، ولم يشكوا أنه يغشاهم ويخرب مثواهم)) [١٤٢] ، إلا أنه لم يستطع الاحتفاظ بمعظم الأراضي التي تم له فتحها ومنها وادي الحجارة التي بقيت بيد النصارى .

وفي سنة ٥٩٢هـ/ ١١٩٥م خرج الخليفة الموحدي المنصور يعقوب بن يوسف (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤-١١٩٨م) في غزوة له نحو أراضي قشتالة فأرسل إليه ملكها الفونسو الثامن Alfonso VIII (٥٥٣-٦١١هـ/ ١١٥٨-١٢١٤م) في طلب الهدنة فلم يلتفت إليه وسار بقواته نحو طلبيرة ، ولما علم أن قوات ملك قشتالة وملك برشلونة يرابطان في قلعة مجريط سارع نحوهما إلا أنهما انسحبا وتركا في مجريط قوة للدفاع عنها ، وفعلاً نجحت القوة النصرانية في صد هجوم المنصور الموحدي عن مجريط فتوجه نحو وادي الحجارة واستعرض قواته هناك ثم ارتدّ جنوباً صوب قرطبة [١٤٣] ، وهذه الغزوة الموحدية كانت هي الأخرى مجرد استعراض للقوة ولم تتمكن أن تحقق أي نجاح يذكر على الأرض بالنسبة للمناطق التي وصلت إليها .

ثالثاً : حضارة المسلمين في مدينة الفرج (وادي الحجارة) :

حكم المسلمون منطقة وادي الحجارة ومدينتها التي تسمى مدينة الفرج أكثر من ثلاثة قرون ونصف ، وليس من المعقول أن تمر هذه المدة على الحكم الإسلامي المباشر للمنطقة دون أن تترك آثاراً حضارية مهمة عليها مع ما عرف عن المسلمين من التقدم الحضاري الذي وصلوا إليه آنذاك ، ولعل جهل الكثيرين بذلك يرجع في تقديرنا إلى عمليات التطهير الديني والعرقي الذي مارسه النصارى الأسبان بالمناطق التي استرجعوها من المسلمين ، فالحروب التي خاضوها ضد المسلمين لم تكن سياسية وحسب بل عمدت إلى إزالة وجودهم أفراداً وعقيدة ، فكانت المظاهر السائدة بعد دخولهم لأي مدينة هي تهجير أصحابها وتحويل المساجد إلى كنائس ثم إزالة معظم المعالم الإسلامية فيها [١٤٤] ، ومن آثر البقاء من المسلمين على أرضه يحرم عليه الكلام بالعربية وارتداء الملابس الإسلامية ويمنع الصلاة علناً ثم أجبروا على إرسال أولادهم إلى الكنائس وتم تعميدهم على طريقة النصارى [١٤٥] ، وهكذا تم إذابتهم داخل المجتمع الجديد ، وبعد مرور أجيال عدة صحا الناس على واقع آخر وكأن شيء لم يكن ، ولكن الحقيقة لا يمكن أن تطمس ، فإذا حجبت عن بعض الأجيال فلا بد لها أن تظهر والبحث والتحري كفيلان بذلك .

ويشير عنان أنه لا توجد في المدينة آثار أندلسية بارزة ، إلا بقية أسوار قديمة تقع على مقربة من الكنيسة العظمى ، وفوقها بناء مربع عالٍ يسمى برج العلمين ذُكِر أنه يرجع إلى الحقبة الإسلامية ، وفيها الكنيسة العظمى التي تسمى سانتا ماريا Santa Maria ترجع إلى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ويرجح أنها أقيمت فوق موقع جامع المدينة القديم ، وكذلك كنيسة سان فرنسسكو في طرف البلدة وهي الأخرى

ترجع إلى العهد الإسلامي وربما أقيمت هي الأخرى على أحد مساجد المدينة ، فضلاً عن القنطرة العربية القديمة التي أقيمت فوق نهر هنارس ، وبقي من عقودها عقدان من العهد الإسلامي [١٤٦] .

وبالقرب من الجسر القديم أقام المسلمون القلعة والقصر وأحاطوهما بأسوار وأبراج مراقبة ، وهناك أيضاً عدد من الأبواب التي لم تعرف أسماءها الأصلية إلا القليل ، حيث أعطيت لها أسماء نصرانية جديدة بعد سقوط المدينة بأيديهم ، ومن هذه الأبواب هي :بابSanto Domingo del Mereado وباب Bejanque ، أما الأبراج التي لا زالت قائمة فهي برج البرانة وهو برج ضخم مرتفع جداً يقع اليوم قرب قصر الأمراء وقد سمي البرهانس على اسم القائد النصراني Alvar fanez عندما دخل المدينة منتصراً ، دخل من هذا الباب فسمي الباب باسمه ، وله شكل مثمن ويتكون من طابقين ويشرف على الباب الرئيسي للمدينة ، والبرج الآخر يسمى الأمين Alamin ويقع قرب كنيسة Santa Maria ويعد أيضاً من أبراج البرانة المهمة ويتكون من طابقين ، ومادته الآجر والحجارة [١٤٧] .

وإذا انتقلنا إلى إسهامات أهالي مدينة وادي الحجارة في الآداب والعلوم ، نجد أن أهلها على طول الحقبة الإسلامية كانوا على اتصال دائم مع رواد الفكر العربي الإسلامي في الأندلس وبقية العالم الإسلامي أيام كانت الرحلة في طلب العلم أحد أهم مظاهر الحركة العلمية ، لذلك نبغ منهم محدثون وقراء ولغويون وشعراء وأطباء وزهاد ، ولعل الصفة التي تكاد تجمع أغلب أولئك هي أنهم كانوا مجاهدين في سبيل الله دافعوا عن بلدهم ومدينتهم وبذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل ذلك ، فكان يرتادها العديد من العلماء بقصد المرابطة فيها للجهاد فنسبوا إليها ، نذكر منهم :

– إبراهيم بن وزمر الصنهاجي الحجاري ، يكنى أبا إسحاق ، كان ممن ولع بعلوم التواريخ والآداب ، وتنبه في خدمة المأمون بن ذى النون[١٤٨] ، وذكر له ابن سعيد شعراً ، وهو من أبناء القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي .

– أحمد بن محمد المعروف بابن المورة ، اشتهر بعلم القراءات ، له كتاب الهادي في القراءات ، وروى عن أبي عمر الطلمنكي ، كان معاصراً لابن الأبار المتوفى سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م [١٤٩] .

– أحمد بن سعيد بن مسعدة من أهل وادي الحجارة ، محدث سمع من أحمد بن خالد ، وتوفي سنة ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م [١٥٠] .

– أحمد بن عائش ، ذُكِر أنه من أعيان وادي الحجارة الذين تحلوا بالأدب وله شعر ، ووصف بالجود والارتياح إلى سماع الأمداح ، وكان في زمان المأمون بن ذي النون أمير طليطلة [١٥١] ، فهو من أبناء القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي .

– أبو جعفر بن أزراق ، قال ابن سعيد : وجدت أنه من بني أزراق أعيان وادي الحجارة في المائة السادسة ، وذكر له شعراً [١٥٢] ، ومرّ بنا أن أرزاق كان أحد أمراء بني الفرج بن سالم في مدينة وادي الحجارة ، فهذا الشاعر ممن ينتسب إليهم .

– أبو حاتم الحجاري ، شاعر متصرف من أهل وادي الحجارة عاش أيام دويلات الطوائف ، قال ابن بسام : ((ولما ابتدأت بتحرير هذا الكتاب ، وأنا يومئذ بقرطبة سنة ثلاث وتسعين نظرت في مبيضات كانت عندي لأهل هذا الإقليم ، فلم أجد لأبي حاتم فيها شيئاً من منثور ولا منظوم ، فاستهديت قطعة من أشعاره وما عسى أن يتعلق بها من ملح أخباره ، وتكرر عليه رسولي هنالك ، فمطلني في ذلك ، فكتبت إليه رقعة أقول في فصل منها : وقد تواتر عليك النبأ أني جمعت من الرسائل الأندلسية ، والأشعار العصرية ، جملة موفورة ، لطوائف كثيرة ، ممن تحقق عندي أن حليته التي تحلى بها من صوغ طبعه ، وحلله التي نشرها أكثر من عدد الشعر ، ولما كنت أبا حاتم خاتمة أئمة هذا الشان ، أحببت أن أجعل كلامك واسطة هذا الديوان ... إلا أني أبا حاتم لا أجري في ميدانك ، ولا أعد من أقرابك ، فسقى الله بلاداً أنجبتك وإن كانت حجارية ، فإن معانيك عراقية ، وألفاظك حجازية ، ولله مدينة الفرج ، فلقد تتحدث منك عن أنموذج بيان ، مخلى الطريق للجريان ، فلما وردته الرقعة ، زم عن الجواب قلمه ، وكلف الإيجاب قدمه ، وورد من حينه عليّ ، ونثر مبيضاته بين يدي)) [١٥٣] ، وقال عنه ابن سعيد : إنه كان متقلباً بين شاعر وخطيب وطبيب وجندي[١٥٤] ، كان أبو حاتم الحجاري معاصراً لابن بسام المتوفى سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م .

– الحسن بن حسان السناط ، قال عنه ابن سعيد : شاعر زمانه ، وواحد أوانه ، اشتهر بقرطبة في مدح الخليفة الناصر ، وأصله من وادي الحجارة ، وقتل نفسه غيظاً، لأنه وجد امرأته مع رجل ، كان معاصراً للخليفة الناصر فهو من أبناء القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي [١٥٥] .

– الحسن بن علي بن شعيب ، يكنى أبا علي ، من بيت جليل في وادي الحجارة ، وذكر له ابن سعيد بعض الشعر [١٥٦] .

– الحسين بن علي بن شعيب ، يكنى أبا حامد ، وصف بالأدب والفروسية ، وذكر له ابن سعيد شعراً ([١٥٧]) .

– حفص بن عمر الحجاري ، محدث من أهل وادي الحجارة ، توفي سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠٠م [١٥٨] .

– حفصة بنت حمدون بن حيوة الحجارية ، لم تشر المصادر إلى نسبها واكتفت بنسبتها إلى بلدها وادي الحجارة [١٥٩] ، قال عنها ابن الأبار إنها (كانت أديبة عالمة شاعرة) [١٦٠] ، وأشار ابن سعيد إلى أنها عاشت في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وهي ممن يفخر بها بلدها [١٦١] ، وامتدحتها فواز العمالية قائلة ((كانت فاضلة ، روض فضلها أريج ، وحدائق معلوماتها وأدبها بهيج ، وشاعرة رقت وكثر اختراعها للمعاني وإبداعها ، تسترق القلوب بألفاظها الزاهرة ، وتسكر العقول بمعانيها الساحرة ، تنظم فتأتي بكل عجيبة وتشف الأسماع بكل غريبة ، وتنثر فتفتض أبكار الدقائق بنظرها الثاقب ، وتجلي غياهب المشكلات بفكرها الصائب)) [١٦٢] .

وعلى الرغم من وصف ابن سعيد لها بأنها لها شعر كثير [١٦٣] ، إلا أن الذي وصل إلينا من شعرها قليل ، ويبدو ضاع مع ما ضاع من التراث الأندلسي ، وإلا كيف ((تفسر فخر بلدها بها)) [١٦٤] ، وكانت حفصة على رأي البعض أول من طرق شعر الغزل عند المرأة الأندلسية ، فقد أشار مكي إلى أنها ((أول من طرقت باب الغزل من الشاعرات الأندلسيات ، ولكن في خفة ورفق وأناة ، وكأنها كانت تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، فمهدت الطريق لمن جاء بعدها من شاعرات الأندلس اللاتي ركب بعضهنّ متن الشطط في صيغ الغزل)) [١٦٥]

، وذكر بوفلاقة عنها أن ((حفصة الحجارية أول شاعرة أندلسية طرفت موضوع الغزل وفتحت الباب لغيرها من الشواعر الآتي سيدلين بدلائهنّ)) [١٦٦] ، وذهبت سلمى سلمان إلى أن حفصة فتحت ((بابا لم تكن قد جرأ على طرقه بعد ،وجندت شعرها لحياتها العاطفية)) ([١٦٧]) .

ومن قولها في الغزل :

رأى ابن جميل أن يرى الدهر مجملا فكل الورى قد عمهم سيب نعمته

له خَلق كالخمر بعد مزاجها وأحسن من أخلاقه حُسن خلقتِه

بوجه كمثل الشمس يدعو ببشره عيونا ويعشيها بإفراط هيبته([١٦٨])

فهي هنا تتغزل برجل يدعى ابن جميل الذي لم نحصل له على ترجمة ، وتصفه بالجود والكرم وحسن الخُلق والخَلق [١٦٩] ولعله هو المقصود في أبياتها الأخرى التي قالت فيها :

لي حبيب لاينثني لعتاب وإذا ما تركته زاد تيها

قال لي هل رأيت لي من شبيه قلت أيضا وهل ترى لي شبيها [١٧٠]

ويبدو أن حفصة كانت من أسرة ثرية فكان لها عدد من العبيد ، وقد شكتهم في بيتين من الشعر إذ قالت :

يارب إن من عبيدي على جمر الغَضى ما فيهم من نجيب

أممّا جَهُول أبله مُتعِب أو فطن من كَيده لا أخِيب [١٧١]

ولعل من إشارتها إلى أن لها عبيداً يخدمونها دفعت البعض إلى القول أنها كانت من الحرائر [١٧٢] ، وعندما فارقها بعض أحبتها ، ولعله حبيبها الذي تغزلت به فانتابتها وحشة في ليلة الوداع فأنشدت تقول :

يا وحشتي لأحبتي يا وحشة متمادية

يا ليلة ودعتهم يا ليلة هيّ ما هيه [١٧٣]

لم تشر المصادر إلى سنة وفاتها ولكن ابن سعيد ذكر أنها عاشت في المائة الرابعة للهجرة [١٧٤] .

– راشد بن عريف ، من أهل وادي الحجارة وأعيانها ، وساد في الكتابة ، ذكر له ابن سعيد شعراً [١٧٥] .

– سحنون بن حيّ الفقيه ، كانت له معرفة بالأدب وله شعر، ذكره ابن الأبار المتوفى سنة ٦٥٨هـ/١٢٥٩م [١٧٦] .

– سعيد بن مسرة يكنى أبا عثمان ، من أهل وادي الحجارة ، روى عن وهب بن مسرة المتوفى سنة ٣٤٦هـ /٩٥٧م [١٧٧] ، فهو من أبناء القرن الثالث الهجري / الرابع الميلادي .

– سعيد بن مسعدة الحجارى ، من أهل وادي الحجارة، محدث ، توفي سنة ٢٧٣هـ /٨٨٦م وقيل توفي سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م [١٧٨] .

– سليمان بن أحمد الحجاري المعروف بابن القزاز ، أصله من وادي الحجارة ، ثم سكن قرطبة ، روى عنه أبو حاتم الحجاري الذي كان حياً سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م [١٧٩] كَان من أهل الْأَدَب والعربية شَاعِرًا مطبوعاً ومال بعد إِلَى علم الطِّبّ [١٨٠] ، وهو من أبناء القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي .

– سلمان بن فتح بن مفرج الأنصاري ، يكنى أبا بكر ، من أهل وادي الحجارة له رحلة إلى المشرق سمع بمكة من ابن الأعرابي وغيره ، ثم رجع إلى بلده وحدث بها ، كان حياً سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م [١٨١] .

– سليمان بن مطروح من أهل مدينة الفرج أخذ عن إبراهيم بن حفص الحجاري ، كان أعلم أهل وقته باللغة العربية وأحفظهم وكان يملي الغريب المصنف ، توفي قريباً من ٣٩٠هـ/٩٩٩م [١٨٢] .

– عباس بن أصبغ بن عبد العزيز الهمداني الحجاري ، يكنى أبا بكر ، من أهل وادي الحجارة ، سمع من محمد بن قاسم [١٨٣] وقاسم بن أصبغ ، كان طاهراً عفيفاً ضابطاً لما كتب ، وسمع منه ابن الفرضي ، توفي سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م [١٨٤] .

– عبد الباقي بن محمد بن سعيد بن أصبغ بن بريال الأنصاري ، من أهل وادي الحجارة ، يكنى أبا بكر ، روى عن المنذر بن المنذر [١٨٥] ، وأبي عمر الطلمنكي [١٨٦] وغيرهم ، وكان نبيلاً حافظاً ، ذكياً أديباً شاعراً محسناً سكن في آخر عمره المرية Almeria ، له رسالة في ذم الغناء ، وتوفي في رمضان سنة ٥٠٢هـ/١١٠٨م [١٨٧] .

– عبد الله بن محمد بن فتح يمنى أبا بكر ، من أهل وادي الحجارة ، روى عن أبيه كتاب جهاد النفس ، حدث عنه أبي الفرج بن فتح السالمي وأبو الحكم المنذر بن المنذر الحجاري المتوفي سنة ٤٢٣هـ/١٠٣١م [١٨٨] .

– عبد الملك بن غصن الخشني ، يكنى أبا مروان ، من أهل وادي الحجارة ، كان فقيهاً أديباً شاعراً ، سجنه المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة ، وألف في السجن كتاب السجن والمسجون والحزن والمحزون ضمنه ألف بيت من الشعر ، ثم أطلقه وتوفي بغرناطة Cranada سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م [١٨٩] .

– أمّ العلاء بنت يوسف بن حرز المجلس الحجارية ، عرفت بالحجارية نسبة إلى مدينة وادي الحجارة [١٩٠] ، وأضاف إليها ابن سعيد البربرية [١٩١] ، ولم يعرف نسبها أكثر من ذلك ، إلا أن ابن حزم أشار إلى أن بعض بطون مصمودة البربرية سكنت وادي الحجارة [١٩٢] ، ولعلها تنتسب إليهم ، فكانت محل فخرهم واعتزازهم ، إذ قال ابن سعيد ((إنها ممن تفخر بها بلدها وقبيلتها)) [١٩٣] .

ولم يصل ألينا من شعرها إلا بعض الأبيات وربما (نظمت قصائد تذوب حبا لوطنها ، ولكن المؤرخين أسقطوها من حسابهم ، أو أنها ضاعت في بطون الكتب) [١٩٤] ، ومن شعرها الذي تصف فيه بستانها وتتغنى في حبه قائلة :

لله بستانـي إذا يهفو به القصبُ المُندّى
فكأنما كف الرياح قد أسندت بندا فبنـدا [١٩٥]

وبذلك فقد رسمت أم العلاء هذه الصورة الجميلة لبستانها الواقع في وادي الحجارة التي قال عنها الحميري ((أنها ذات مياه معينة وبغربها نهر صغير ، لها عليه بساتين وجنات وكروم وزراعات)) [١٩٦] .

كما أن لها بعض أبيات في الغزل ولكن غزلها فيه حشمة وكبرياء وترفعت عما ينال من مروءتها [١٩٧] ومما قالته في هذا الباب :

كلُ ما يصدر عنكم حسنُ وبعُلياكم يُحلى الزمـن

تعطف العين على منظركم وبذكراكم تلــذُ الأذُنُ
من يعش دونكم في عمره فهو في نيل الأماني يغبنُ [١٩٨]

كما أنها في غزلها لم تذهب بعيداً في الاستمتاع بالطرب واللهو والغناء ، ولكن مروءتها كما تقول منعتها من ذلك :

لولا منافرة المدا مة للصبابة والغنا
لعكفت بين كؤوسها وجمعت أسباب المنى [١٩٩]

وتبدو في حياتها وقفة لطيفة وهي أن رجلاً أشيب قد هام بها وشُغف بحبها ، ولما تقدم لخطبتها صدّت عنه وأرسلت إليه معتذرة بشيء من التوبيخ :

يا صبح لا تبد إلى جُنح والليل لا يبقى مع الصبح
الشيب لا يخدع فيه الصبّا بحيلة فاسمع إلى نصح
فلا تكن أجهل من في الورى تبيت في الجهل كما تضحى [٢٠٠]

ولها في الاعتذار إلى من علقه قلبها قائلة :

افهم مطارح أحوالي وما حكمت به الشواهد واعذرني ولا تلم
ولا تكلني إلى عذر أبينه شر المعاذير ما يحتاج للكلم
وكل ما جئته من زلة فبما أصبحت في ثقة من ذلك الكرم [٢٠١]

وقد أشارت فواز العاملية إلى أن لأم العلاء (قصائد طنانة وموشحات رنانة) [٢٠٢] ، إلا أنه لا يوجد دليل إلى ما ذهبت إليه [٢٠٣] ، ولم نعثر على تاريخ وفاتها ، ولكن المقري جعلها من أهل المائة الخامسة [٢٠٤] .

– علي بن الحسن من أهل وادي الحجارة ، محدث سمع منه وهب بن مسرة الحجاري المتوفى سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م [٢٠٥] .

– علي بن معاوية بن مصلح من أهل مدينة الفرج (وادي الحجارة) يكنى أبا الحسن ، رحل إلى المشرق وسمع بمكة والمدينة ومصر والإسكندرية ثم عاد إلى الأندلس وسمع بقرطبة وطليطلة وبمدينة الفرج ، وكان شيخاً فاضلاً ثقة فيما رواه ، سمع الناس منه كثيراً ، وتوفي في عقب رجب سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٦م [٢٠٦] .

– علي بن المنذر بن المنذر بن علي الكناني من أهل مدينة الفرج (وادي الحجارة) يكنى أبا الحسن ، محدث روى عن أبيه وأبي عمر الطلمنكي ، وأبي عمر بن عبد البر[٢٠٧] وغيرهم ، وله رحلة إلى المشرق حج فيها وروى الحديث بها ، وتوفي في نحو ٤٨٠هـ/١٠٨٧م [٢٠٨] .

– غالب بن عمر ، محدث من أهل وادي الحجارة ، سمع من ابن وضاح[٢٠٩] ، توفي سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م [٢١٠] .

– فرج بن سلمة بن زهير بن مالك البلوي من أهل قرطبة سمع من قاسم بن أصبغ المتوفى سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م وغيره ، وتولى الصلاة والقضاء في مدينة وادي الحجارة ، وهو من أهل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي [٢١١] .

– فتح بن حربون ، محدث من أهل وادي الحجارة سمع من سعيد بن عثمان الأعناقي[٢١٢] وغيره ، وتوفي سنة ٣٢٦هـ/٩٣٧م [٢١٣] .

– القاسم بن عبد الرحمن بن مسعدة الأوسي ، يكنى أبا محمد ، كان سكناه بغرناطة ، وبيته عظيم بوادي الحجارة وساد بنفسه وكان متفنناً في العلوم ، وصاحب لواء العربية ، توفي بمالقة Malaga سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م [٢١٤] .

– قاسم بن مسعدة البكري ، من أهل وادي الحجارة ، يكنى أبا محمد ، له رحلة إلى المشرق وسمع بمصر والقيروان ، ثم عاد إلى الأندلس ، وتوفي بها سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م [٢١٥] .

– محمد بن أحمد بن مطرف الحجاري من أهل مدينة وادي الحجارة ، ويعرف بابن المرورة ، يكنى أبا عبد الله ، محدث روى عن أبي محمد الشنتجالي[٢١٦] ، وتوفي سنة ٤٦٥هـ /١٠٧٢م [٢١٧] .

– محمد بن إبراهيم بن حيون الحجاري ، يكنى أبا عبد الله ، من أهل وادي الحجارة ، محدث سمع محمد بن وضاح ، كانت له رحلة إلى المشرق ، وسمع بمكة وبغداد ومصر ، روى عنه قاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة ، وتوفي سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م [٢١٨] .

– محمد بن بالع ، من أهل وادي الحجارة سمع من ابن وضاح المتوفى سنة ٢٨٧هـ /٩٠٠م وغيره ، وكان عابداً زاهداً ، وهو من أهل رأس المائة الهجرية الثالثة / التاسع الميلادي [٢١٩]

– محمد بن الدباغ ، من أهل وادي الحجارة محدث أخذ عن إبراهيم بن حفص[٢٢٠] ، كما صحب ابن حزم الأندلسي [٢٢١] ، وكان أربع أهل وقته في النحو والأدب [٢٢٢] ، فهو من أبناء القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي .

– محمد بن عبد الله الزيادي ، من أهل وادي الحجارة ، سمع من أحمد بن خالد المتوفى سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م [٢٢٣] ، وكان مفتياً في موضعه [٢٢٤] ، وهو من أبناء القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي .

– محمد بن عثمان بن حسين البكري الحجاري ، يكنى أبا عبد الله ، محدث روى عن أبي بكر عبد الباقي بن برال [٢٢٥] ومحمد بن أحمد بن المورة ، كان حياً سنة ٥١٠هـ/ ١١١٦م [٢٢٦] .

– محمد بن عزرة ، من أهل وادي الحجارة ، يكنى أبا عبيد الله ، روى عن محمد بم وضاح ووهب بن مسرة ، كان حافظاً للمسائل ، كما ولي قضاء مدينته ، وتوفي سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م [٢٢٧] .

– محمد بن فتج ، من أهل وادي الحجارة ، محدث سمع من أحمد بن خالد المتوفى سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م ، ورحل إلى المشرق وسمع من ابن الأعرابي ، وألف له كتاب الإخلاص ، وعلم الباطن ، وكان حافظاً للنحو والغرائب ، شاعراً ، من أهل القرن الرابع الهجري [٢٢٨].

– محمد بن قاسم أشكهباط ، يكنى أبا بكر ، من أهل وادي الحجارة ونشأ بقرطبة وساد فيها ، من أهل الأدب وله نثر وشعر ، قال ابن سعيد : ((وجارى حلبة الأعيان والكتاب في تلك الفتنة التي قلبت أسافلها أعاليها)) [٢٢٩] .

– محمد بن القاسم بن مسعدة البكري ، من أهل وادي الحجارة ، يكنى أبا عبد الله ، محدث سمع بقرطبة من تميم أبي العرب[٢٣٠] ومسلمة بن قاسم [٢٣١] وغيرهم ، له رحلة إلى المشرق وسمع من ابن الأعرابي [٢٣٢] ، كان حياً سنة ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م [٢٣٣] .

– محمد بن يونس الحجاريّ ، من أهل وادي الحجارة بالأندلس ، كان مقدّماً في المعرفة بالنحو واللغة ، وكتب الأخبار والأشعار. واستأثر به المظفّر بن الأفطس لنفسه ولبنيه ، وسكن بطليوس Badajos ، وتوفى بها سنة ٤٦٢هـ أو ٤٦٣هـ /١٠٦٩م أو١٠٧٠م [٢٣٤] .

– محمد بن يوسف بن عبد الله الوراق ، يكنى أبا عبد الله ، ويلقب بالتاريخي لأنه ألف في التاريخ ، من أهل وادي الحجارة ، خدم الحكم المستنصر وألف له كتاب في مسالك إفريقية وأخبارملوكها وحروبهم ، كان معاصراً للخليفة الحكم المستنصر المتوفى سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م [٢٣٥] .

– منذر بن منذر بن علي بن يوسف الكناني ، من أهل مدينة الفرج (وادي الحجارة) يكنى أبا الحكم ، محدث روى ببلده عن أبي الحسن علي بن معاوية بن مصلح ، وأبي محمد عبد الله بن قاسم بن محمد القلعي[٢٣٦] وغيرهم ، ورحل إلى المشرق فحج وحدث هناك ، وكان رجلاً صالحاً قديم الطلب للعلم كثير الكتب راوياً لها ، موثقاً فيها ، وكان ينسب إلى غفلة كثيرة ، وتوفي سنة ٤٢٣هـ/١٠٣١م [٢٣٧] .

– أبو وهب محمد بن أبي نخيلة ، من أهل وادي الحجارة ، روى عن وهب بن مسرة المتوفى سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م ، كان ثقة حافظاً لمذهب مالك ، ولي قضاء وادي الحجارة فأحسن السيرة [٢٣٨] ، وهو من أهل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي .

– وهب بن مسرة بن مفرج بن حكيم ، أبو الحزم ، المالكي التميمي الحجاري نسبة إلى وادي الحجارة ، فقيه ، محدث ، حافظ ، عارف بالرجال ، سمع بقرطبة من ابن وضاح [٢٣٩] وقاسم بن أصبغ [٢٤٠] وغيرهم ، وحدث عنه غير واحد منهم: أبو محمد القليعي وعبد الرحيم بن العجوز ، وصف بأنه إمام ثقة مأمون وإليه كانت الرحلة أيام حياته ، ومن تصانيفه : السنة وإثبات القدر والرؤية ، توفي بوادي الحجارة سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م [٢٤١] .

– يحيى بن عبد العزيز ، من أهل وادي الحجارة ، محدث سمع من الأعناقي المتوفى سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م وغيره [٢٤٢] ، فهو من أبناء رأس المائة الهجرية الثالثة / التاسع الميلادي .

– يحيى بن الفتح بن الحسين الأنصاري ، يكنى أبا بكر ، من أهل وادي الحجارة ثم سكن قرطبة ، يعرف بابن الشيخ ، كانت له عناية في الطب ، توفي نحو سنة ٥٢٦هـ /١١٣١م [٢٤٣] .

الخارطة عن : كولان ، الأندلس ، ص٧٩ .

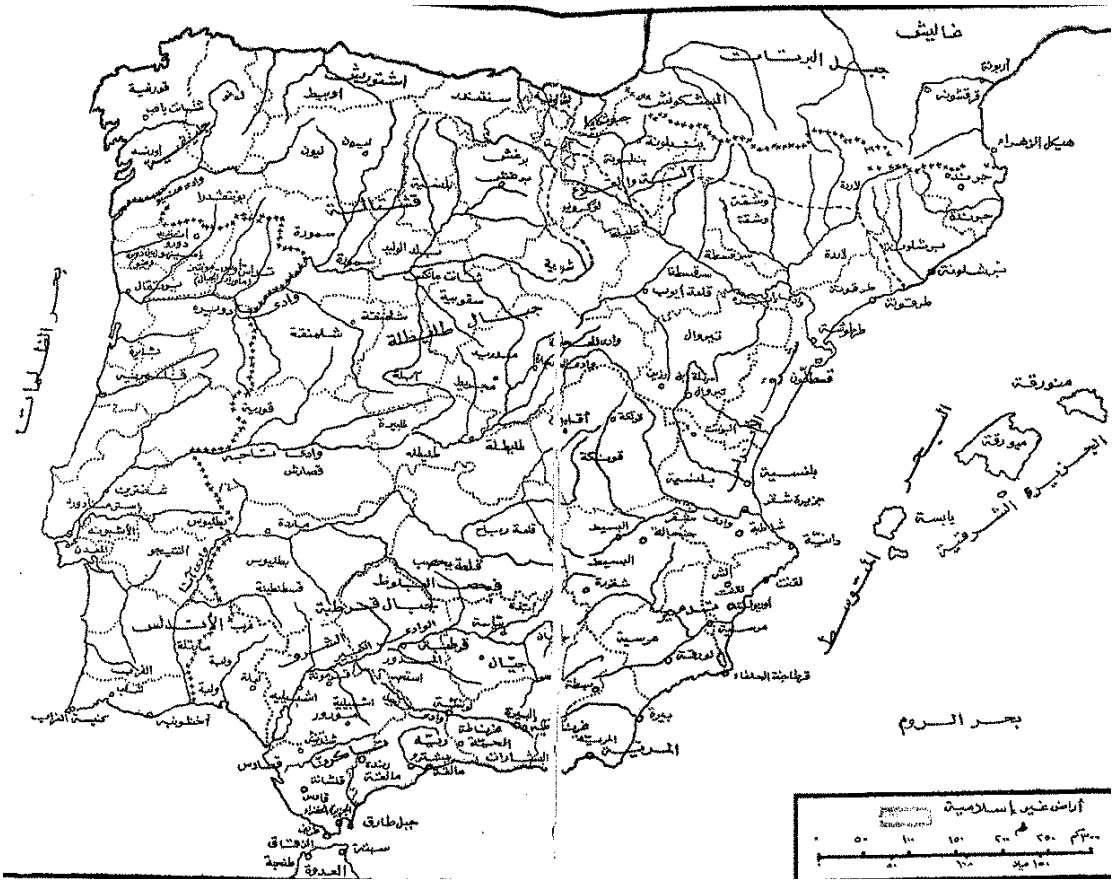

الخاتمة :

لم يكن دخول المسلمين إلى شبه الجزيرة الأيبيرية محتلين ، بل كانوا فاتحين محررين ، فعمروا الأرض ، وشيدوا المدن ، وبنو القلاع والحصون ، واختلطوا مع السكان الأصليين وشاركوهم في أفراحهم وأتراحهم .

وتعد ظاهرة بناء المدن من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية في الأندلس ، ومن هذه المدن مدينة وادي الحجارة أو مدينة الفرج ، وقد توصل البحث أن كلا التسميتين ينطبقان عليها ، فالأول مشتق من طبيعتها الجغرافية ، والثاني نسبة إلى بني الفرج بن سالم أول من نزلوها وعمروها .

دام الحكم الإسلامي لها أكثر من ثلاثة قرون ونصف ، شهدت المدينة خلالها نشاطاً عسكرياً وسياسياً مهماً ، وذلك لموقعها الحدودي بين بلاد المسلمين والنصارى ، وقد ظلت هدفاً لهجمات النصارى لمدة طويلة حتى تمكنوا من الاستيلاء عليها سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م بعد سقوط طليطلة مباشرة .

وعلى الرغم من سقوطها المبكر بالنسبة لمدن الثغور الأخرى ، ومحاولة النصارى طمس الكثير من معالمها الإسلامية ، إلا أن هناك بعض الآثار لا تزال قائمة ، وشاهد على دور المسلمين الحضاري فيها ، ومنها القنطرة التي شيدها المسلمون على نهرها ، كما نبغ من أهل المدينة العديد من العلماء في مختلف الميادين مثل الفقه والحديث والقراءات واللغة والأدب والطب ، والذين أسهموا في بناء الحضارة الإسلامية في الأندلس .

هوامش البحث

[١]) أرسلان ، الحلل السندسية ، ٧٣/٢ ؛ شمهود ، مدينة وادي الحجارة الأندلسية ، آثار وعمارة ، مقالة على الموقع الالكتروني : http://almothaqaf.com .

[٢]) حتاملة ، ايبيريا ، ص٢٩-٣٢ .

[٣]) كتاب الجغرافية ، ص١٠٤ .

[٤]) حتاملة ، ايبيريا ، ص٨٥-٨٦ .

[٥]) ابن سعيد ، الجغرافيا ، ١٧٩ .

[٦]) نزهة المشتاق ، ٥٥٣/٢ .

[٧]) مؤلف مجهول ، حدود العالم ، ص٦٧ ؛ البكري ، المسالك والممالك ، ٢٣٩/١-٢٤٠ ؛ الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ٥٥٣/٢ ؛ المراكشي ، المعجب ، ص٢٦٩ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص١٢٧ ؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس ، ص٤٨ .

[٨]) شمهود ، مدينة وادي الحجارة الأندلسية ، آثار وعمارة ، مقالة على الموقع الالكتروني : http://almothaqaf.com .

[٩]) الأندلس من معجم البلدان ، ص١١٧ .

[١٠]) الأندلس من معجم البلدان ، ص٢٠٢ .

[١١]) الأندلس من معجم البلدان ، ص٢٩١ .

[١٢]) اليعقوبي ، البلدان ، ص١٩٤ ؛ الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص٣٦ ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص١١٧ ؛ مؤلف مجهول ، حدود العالم ، ص١٨٢ ؛ البكري ، المسالك والممالك ، ٨٩٢/٢ ؛ الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ٥٥٣/٢ ؛ ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص١٧٩ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص٦٠٦ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٢٢٠/٥ ؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس ، ص١٠٨ .

[١٣]) معجم البلدان ، ٣٦/١-٣٧ .

[١٤]) فجر الأندلس ، ص٥٩٠ .

[١٥]) أحسن التقاسيم ، ص٢٣٦-٢٣٧ .

[١٦]) حمزة بن الحسن الأصفهاني من أهل أصفهان ، مؤرخ وأديب ، له عدة مصنفات منها تاريخ أصفهان والأمثال على أفعل وسني ملوك الأرض ، توفي سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م ، ابن النديم ، الفهرست ، ص١٩٢ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ٢٧٧/٢ .

[١٧]) معجم البلدان ، ٢٦/١ .

[١٨]) ياقوت ، معجم البلدان ، ٣٦٦/٣ .

[١٩]) معجم البلدان ، ٢٣٦/٤ .

[٢٠]) معجم البلدان ، ٢٠٧/٥ .

[٢١]) فجر الأندلس ، ص٥٨٢ .

[٢٢]) تاريخ الأندلس ، ص١٠٨-١٠٩ .

[٢٣]) الأندلس من معجم البلدان ، ص٢٩ .

[٢٤]) المسالك والممالك ، ص٣٦ .

[٢٥]) صورة الأرض ، ص١١٧ .

[٢٦]) نزهة المشتاق ، ٥٥٣/٢ .

[٢٧]) الروض المعطار ، ص٦٠٦ .

[٢٨]) ناجي ، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية ، ص٦٦ .

[٢٩]) الفراهيدي ، العين ، ٤٢/٨ (مادة بلد) .

[٣٠]) أحسن التقاسيم ، ص٤٧ .

[٣١]) الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ٥٥٣/٢ .

[٣٢]) الأندلس من معجم البلدان ، ص١١٧ .

[٣٣]) المسالك والممالك ، ص٣٥ .

[٣٤]) صورة الأرض ، ص١١٧ .

[٣٥]) ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص١٧٩ ؛ ياقوت ، الأندلس من معجم البلدان ، ص٢٠٢ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص٦٠٦ ؛ شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص٣٢٢ وأسماها الهرج وهو تصحيف عن الفرج ؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس ، ص١٠٨ .

[٣٦]) ابن سعيد ، الجغرافيا ، ص١٧٩ ؛ شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص٣٢٢ .

[٣٧]) ابن خلدون ، العبر ، ٨٤/١ .

[٣٨]) الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ٥٥٣/٢ ؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس ، ص١٠٨ –١٠٩ وقال إن بينهما ستون ميلاً .

[٣٩]) نزهة المشتاق ، ٥٥٣/٢ ؛ ينظر أيضاً : الحميري ، الروض المعطار ، ص٦٠٦ .

[٤٠]) شمهود ، مدينة وادي الحجارة الأندلسية ، آثار وعمارة ، مقالة على الموقع الالكتروني : http://almothaqaf.com .

[٤١]) ترجالة وتلفظ ترجيلة وهي من أعمال ماردة بينها وبين قرطبة ستة أيام غرباً وبينها وبين سمورة ستة أيام ، استولى عليها النصارى سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م ، ياقوت ، الأندلس من معجم البلدان ، ص١٠٣ .

[٤٢]) حدود العالم من المشرق إلى المغرب ، ص١٨٢ .

[٤٣]) فتوح مصر والمغرب ، ص٢٣٤ .

[٤٤]) تاريخ افتتاح الأندلس ، ص٣٥ ، ٣٦ ؛ ينظر أيضاً : مؤلف مجهول ، فتح الأندلس ، ص٢٣–٢٤ .

[٤٥]) ص٢٣ ، ٢٤ ؛ ينظر أيضاً : ابن الأثير ، الأندلس من الكامل في التاريخ ، ص٤٤ .

[٤٦]) البيان المغرب ، ١٢/٢ ؛ ينظر أيضاً : الحميري ، الروض المعطار ، ص٥٣٠ .

[٤٧]) نفح الطيب ، ٢٦٤/١–٢٦٥ .

[٤٨]) ينظر عن ذلك : الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص٦٦ ؛ السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص٣٣–٣٤ ؛ العبادي ، في التاريخ العباسي والأندلسي ، ص٢٨٠ ؛ سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص٨٣–٨٤ ؛ العتبي والعامري ، تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي ، ص٢٥١ ؛ أبو عبية ، موجز عن الفتوحات الإسلامية ، ص١٠٠ .

[٤٩]) فجر الأندلس ، ص١٤٠–١٤١ .

[٥٠]) نزهة المشتاق ، ٧٣١/٢ ؛ ينظر أيضاً : المقري ، نفح الطيب ، ٣٣٨/١ .

[٥١]) المقري ، نفح الطيب ، ٢٧٥/١–٢٧٦ ؛ مؤنس ، فجر الأندلس ، ص١٦٦ .

[٥٢]) الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص٦٤ ؛ أرسلان ، الحلل السندسية ، ٦٩/٢

[٥٣]) ينظر الخريطة .

٥٤) السامرائي ، الثغر الأعلى الأندلسي ، ص٧٠–٧١ ؛ أبو عبية ، موجز عن الفتوحات الإسلامية ، ص١٠١ .

[٥٥]) طه ، الفتح والاستقرار ، ص٢٦٠ .

٥٦) م . ن، ٢٢٠/١ .

٥٧) مؤنس ، فجر الأندلس ، ص٨٣ (عن الرازي) .

٥٨) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص٥٠١

٥٩) العبادي ، في التاريخ العباسي الأندلسي ، ص٤١٨ . العتبي والعامري ، تاريخ المغرب والأندلس ، ص٣٧٩ .

[٦٠]) البلدان ، ص١١١ .

[٦١]) المسالك والمملك ، ص٣٦ .

[٦٢]) جمهرة أنساب العرب ، ص٥٠١ .

[٦٣]) جمهرة أنساب العرب ، ص٤٩٩ .

[٦٤]) جمهرة أنساب العرب ، ص٥٠١ .

[٦٥]) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٦/٢ ؛ مؤنس ، فجر الأندلس ، ص١٣٠ .

[٦٦]) نفح الطيب ، ٢٥٩/١ .

[٦٧]) مؤنس ، فجر الأندلس ، ص٤٢٥-٤٢٦ .

[٦٨]) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص٤٩٩ .

[٦٩]) أخبار مجموعة ، صص٦١-٦٢ ؛ وينظر التفاصيل : مؤنس ، فجر الأندلس ، ص٢٨٠-٢٩٧ .

[٧٠]) جمهرة انساب العرب ، ص٥٠١ .

[٧١]) الإحاطة ، ٢٣١/٢ .

[٧٢]) المقتبس ، للحقبة (٢٣٢-٢٦٧هـ / ٨٤٦-٨٨٠م) ص٧٩ .

[٧٣]) الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص٣٦ .

[٧٤]) هو عباس بن ناصح الثقفي من أهل الجزيرة الخضراء رحل صغيراً إلى المشرق وأخذ من علماء البصرة والكوفة من علوم اللغة ، واشتهر بالشعر ومدح الأمير الحكم بن هشام ، توفي بعد سنة ٢٣٠هـ /٨٤٤م ، ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص٢٣٨ ؛ ابن حيان ، المقتبس ، للحقبة (١٨٠-٢٣٢ هـ / ٧٩٦-٨٤٦م) ص ٢٣٤-٢٣٨ ؛ القفطي ، أنباه الرواة ، ٢/ ٣٦٥ -٣٦٧ ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٣٦٨/١٣- ٣٦٩ ؛ السيوطي ، بغية الوعاة ، ٢٨/٢ .

[٧٥]) ابن حيان ، المقتبس ، للحقبة (١٨٠-٢٣٢ هـ / ٧٩٦-٨٤٦م) ص٢٣١ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٧٣/٢ ؛ ابن الخطيب ،الإحاطة ، ٢٧١/١ .

[٧٦]) ينظر عن أحداث ماردة في أيام الأمير الحكم : ابن الأثير ، الأندلس من الكامل في التاريخ ، ص١٤١ ، ١٤٤ .

[٧٧]) مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس ، ص١٧٩ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٣٤٣/١ .

[٧٨]) البيان المغرب ، ٧٣/٢ ؛ ينظر أيضاً : ابن حيان ، المقتبس ، للحقبة (١٨٠-٢٣٢ هـ / ٧٩٦-٨٤٦م) ص٢٣١- ٢٣٢ ؛ ابن الأثير ، الأندلس من الكامل في التاريخ ، ص١٤٤-١٤٥، إلا أنه جعل هذه الغزوة سنة ١٩٦هـ/ ٨١١م ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ٢١٦/٢٣ ؛ ابن الخطيب ، الإحاطة ، ٢٧١/١ ؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس ، ص١٧٩-١٨٠ .

[٧٩]) المقتبس ، للحقبة (١٨٠-٢٣٢ هـ / ٧٩٦-٨٤٦م) ص٢٣٢ .

[٨٠]) المقتبس ، للحقبة (١٨٠-٢٣٢ هـ / ٧٩٦-٨٤٦م) ص٤٢١ ؛ ينظر أيضاً : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٨٢/٢ واسماها حصن القلعة .

[٨١]) البيان المغرب ، ٨٢/٢ .

[٨٢]) المقتبس ، للحقبة (١٨٠-٢٣٢ هـ / ٧٩٦-٨٤٦م) ص٤٢٠ ؛ ينظر أيضاً : الحميري ، الروض المعطار ، ص١٨٣ .

[٨٣]) ينظر عن استقرار القبائل العربية في جيان : طه ، الفتح والاستقرار ، ص٢٤٢-٢٤٩ .

[٨٤]) البيان المغرب ، ٨٢/٢ .

[٨٥]) المقتبس ، للحقبة (٢٣٢-٢٦٧هـ / ٨٤٦-٨٨٠م) ص٧٩ .

[٨٦]) المقتبس ، للحقبة (٢٣٢-٢٦٧هـ / ٨٤٦-٨٨٠م) ص٣١٥ ؛ ترصيع الأخبار ، ص٣٠ .

[٨٧]) البلدان ، ص١١١ .

[٨٨]) كراتشوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي ، ق١ ، ص١٥٩ .

[٨٩]) المقتبس ، للحقبة (٢٣٢-٢٦٧هـ / ٨٤٦-٨٨٠م) ص ٣١٥ .

[٩٠]) موسى بن موسى بن فرتون بن قسي من أسرة من المولدين في منطقة الثغر الأعلى وأحد الأمراء المتغلبين فيها ، وكان متقلب الولاء بحكم علاقته مع النصارى مصاهرته لهم تمكن في أيام الأمير عبد الرحمن الأوسط من بسط نفوذه على مناطق واسعة تطيلة ووشقة وسرقسطة إلا أن الأخير تمكن من هزيمة وأرغمه على تقديم الولاء والطاعة عن طرق الحملات المتتالية على مناطق الثغر الأعلى ، فلما كان في أيام الأمير محمد نكث موسى بن موسى القسوي الطاعة وتحالف مع النصارى ضد حكومة قرطبة وزحف على مدينة وادي الحجارة إلا أنه فشل في دخولها وجرح ثم توفي بسبب جراحه سنة ٢٤٨هـ/ ٨٦٢ ، ينظر : ابن حيان ، المقتبس ، للحقبة (٢٣٢-٢٦٧هـ / ٨٤٦-٨٨٠م) ص ٣١٥- ٣١٨ ؛ العذري ، ترصيع الأخبار ، ص٢٩-٣١ .

[٩١]) تاريخ افتتاح الأندلس ، ص١١١-١١٢ ؛ ينظر أيضاً : ابن حيان ، المقتبس ، للحقبة (٢٣٢-٢٦٧هـ / ٨٤٦-٨٨٠م) ص ٣١٥ – ٣١٨ ؛ العذري ، ترصيع الأخبار ، ص٣٠-٣١ ؛ وورد اسم إزراق عند القوطية بالكسر ، فيما ذكره ابن حيان والعذري أزراق بالفتح ؛ وذكر ابن عذاري الرواية مختصرة ، البيان المغرب ، ٩٧/٢ .

[٩٢]) عند ابن عذاري ماسوية ، البيان المغرب ، ١٠١/٢ .

[٩٣]) المقتبس (للحقبة ٢٣٢-٢٦٧هـ/ ٨٤٦-٨٨٠م) ص٣٢٦-٣٢٧ .

[٩٤]) ابن حيان ، المقتبس (للحقبة ٢٣٢-٢٦٧هـ/ ٨٤٦-٨٨٠م) ص٦١١ هامش (٥٣٧) .

[٩٥]) وهي إحدى قواعد بلاد الجلالقة بينها وبين البحر المحيط ستون ميلاً . الحميري ، الروض المعطار ، ص٣٢٤ .

[٩٦]) ابن حيان ، المقتبس (للحقبة ٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) ص ١٥٥- ١٦١ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء ، ٢٦٨/٢-٢٧٠ .

[٩٧]) نسبة إلى عمر بن حفصون أحد المولدين الثائرين في قلعة ببشتر منذ أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن واستمرت ثورته حتى عهد عبد الرحمن الثالث ، ابن حيان ، المقتبس (الحقبة ٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م) ص٧٢-١١٢ ؛ ابن عذارى ، البيان المُغرب ، ٢/ ١٣١ – ١٣٣ .

[٩٨]) المقتبس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/ ٩١٢-٩٤١م) ص١٦١-١٦٢ ؛ ينظر أيضاً : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٧٦/٢ .

[٩٩]) المقتبس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/ ٩١٢-٩٤١م) ص١٦٢ ؛ ينظر أيضاً : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٧٦/٢ .

[١٠٠]) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٥٧/٢ .

[١٠١]) المقتبس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/ ٩١٢-٩٤١م) ص٢٥٤ .

[١٠٢]) ابن حيان ، المقتبس (للحقبة ٢٣٢-٢٦٧هـ/ ٨٤٦-٨٨٠م) ص٦١١ هامش (٥٣٧) .

[١٠٣]) السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص٣٧٧ .

[١٠٤]) ابن حيان ، المقتبس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/ ٩١٢-٩٤١م) ص٣٣١ .

[١٠٥]) ابن حيان ، المقتبس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/ ٩١٢-٩٤١م) ص٣٧٧ .

[١٠٦]) ابن حيان ، المقتبس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/ ٩١٢-٩٤١م) ص٣٩٥ ؛ ينظر أيضاً : العذري ، ترصيع الأخبار ، ص٥٠ وجعل ذلك سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م .

[١٠٧]) ابن حيان ، المقتبس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/ ٩١٢-٩٤١م) ص٤٢٢ .

[١٠٨]) ابن حيان ، المقتبس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/ ٩١٢-٩٤١م) ص٤٤٢ .

[١٠٩]) ابن حيان ، المقتبس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/ ٩١٢-٩٤١م) ص٤٤٢-٤٤٤ .

١١٠) ابن حيان ، المقتبس (للحقبة ٣٠٠-٣٣٠هـ/ ٩١٢-٩٤١م) ص٤٦٣ .

١١١) عبد الملِك بن مُنذِر بن سَعيد بن عبد الله بن عبد الرّحمن بن القاسِم ابن عبد الله بن نُجَيح البلوطي من أهْل قُرطُبة يُكنّى: أبا مَروان سمعَ من أبيه ومن غَيره وَوُلّي خُطّة الرّد ، اتهم أنه تآمر مع عبد الله بن عبد الرحمن الناصر ضد الخليفة هشام المؤيد فَصُلِب على باب سُدّة السّلطان يوم الخَميس للنّصف من جُمادي الآخرة سنة ٣٦٨هـ / ٩٧٨م ، ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص٢٢٤ ؛ ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص١٥٧ .

[١١٢]) المقتبس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/ ٩٧٠-٩٧٤م) ص١٠٤ .

[١١٣]) غالب بن عبد الرحمن مولى الخليفة الناصر وأحد القادة المشهورين في حرب الثغور في عصر الخلافة فضلاً عن أنه كان شاعراً أديباً قتل في مواجهة له مع ابن أبي عامر سنة ٣٧١هـ/ ٩٨١م ، الضبي ، بغية الملتمس ، ص٢٣٥ ؛ ابن الأبّار، الحُلة السُّيراء ، ٢٥٧/١ -٢٦٨ ؛ ابن سعيد ، المُغرب، ٢٠١/١-٢٠٢؛ ابن عذارى ،البيان المُغرب، ٢٧٨/٢-٢٩٨ .

[١١٤]) ابن حيان ، المقتبس (للحقبة ٣٦٠-٣٦٤هـ/ ٩٧٠-٩٧٤م) ص٢٠٢ .

[١١٥]) ينظر عن غزوات المنصور بن أبي عامر : العذري ، ترصيع الأخبار ، ص٧٤-٨٠ ؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس ، ص٢٢٦-٢٣٥ .

[١١٦]) مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس ، ص٢٣٦ .

[١١٧]) عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أمية بن الحكم الربضي المرواني الملقب بالحجر لبأسه وشجاعته ، اتهمه المنصور بن أبي عامر بالاشتراك مع ابنه عبد الله بن المنصور بن أبي عامر بالتآمر بسبب تقديمه أخوه عبد الملك عليه وانضم إليهما بعض أكابر الجند ورجال الدولة ، واكتشف المنصور المؤامرة وقتل عدد من المشركين فيها ، إلا أن عبد الله بن عبد العزيز المرواني فرّ إلى برمودو الثاني Bermudo II ملك ليون Leon فيما هرب وعبد الله بن المنصور إلى ملك قشتالة Castilla ، فأرسل المنصور إليه أن يسلمه إليه ولده وإلا قاتله ، فوقعت بينهما الحرب ولحقت القشتاليين الهزائم العديدة حتى أذعن ملكهم إلى الصلح وسلم عبد الله بن المنصور فضرب عنقه وذلك سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م ، ثم قرر المنصور ابن أبي عامر معاقبة ملك ليون على حمايته لعبد الله بن عبد العزيز المرواني فنشبت الحرب بينهما وأرغم ملك ليون على تسليم المرواني إليه ، فقام المنصور بسجنه وبقي في السجن إلى أن مات المنصور فأطلقه ابنه عبد الملك المظفر وخلع عليه واستمر في خدمته حتى توفي غازياً معه غزوته الأولى في مدينة ماردة سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٢م ، ينظر : ابن الأبار، الحلة السيراء ، ٢١٨/١-٢٢٠ ؛ التكملة ، ٢٣٥/٢ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، ١٠/٢ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢٨٤/٢-٢٨٥ ؛ عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ، ق٢ ، ٥٥٢ .

[١١٨]) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢٨٣/٢-٢٨٤ .

[١١٩]) ينظر : ابن بسام ، الذخيرة ، ٣٦/١ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، ٩٤/٢ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢٧/٣ ، ١٠٣ ، ١٥٣ .

[١٢٠]) البيان المغرب ، ٣/ ٨٦ .

[١٢١]) البيان المغرب ، ١٠٣/٣ – ١٠٤ .

[١٢٢]) ينظر عن أوضاع الممالك النصرانية الأسبانية في النصف الأول من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي : عنان ، دول الطوائف ، ص٣٧٨-٣٨٢ .

[١٢٣]) أعمال الأعلام ، ق٢ ، ص١٧٧ ؛ ينظر أيضاً : ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢٧٧/٣-٢٨٢ ؛ عنان ، دول الطوائف ، ص٨٩-١٠١ .

[١٢٤]) عنان ، دول الطوائف ، ص٣٨٣-٣٨٤ .

[١٢٥]) الأرض الكبيرة أطلقه المسلمون على بلاد الفرنجة ، البكري ، المسالك والممالك ، ٨٩٣/٢ ، ٩١٥ .

[١٢٦]) البيطين هو تصحيف للاسم الحقيقي له وهو بلدوين دي فلاس الذي عهد إليه الوصاية على الملك الفرنسي فيليب الأول ، العلياوي ، الحملات الصليبية على الأندلس ، ص٥٧ .

[١٢٧]) تاريخ الأندلس ، ص٧١-٧٢ .

[١٢٨]) ينظر عن سقوط بريشتر : ابن بسام ، الذخيرة ، ١٧٩/٥- ١٨٨ ؛ ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٢٢٥/٣-٢٢٦ ؛ العلياوي ، الحملات الصليبية على الأندلس ، ص٥٥-٥٩ .

[١٢٩]) الذخيرة ، ١٠٥/٧ .

[١٣٠]) تاريخ الأندلس ، ص٧٩ .

[١٣١]) في ابن بسام حصن سرتة ، الذخيرة ، ٢٤٩/٣ .

[١٣٢]) ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص٨٣ .

[١٣٣]) أرسلان ، الحلل السندسية ، ٣٥/٢-٣٦ .

[١٣٤]) وهو أحد شعراء عصر الطوائف بالأندلس امتدح المتوكل بن الأفطس واختص به ، ينظر : ابن بسام ، الذخيرة ، ٧٧٣/٦-٧٨٣ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، ١٦/٢-١٧ .

[١٣٥]) الذخيرة ، ٧٧٦/٦ -٧٧٧ .

[١٣٦]) عنان ، دول الطوائف ، ص١١١ .

[١٣٧]) العلياوي ، الحملات الصليبية على الأندلس ، ص٧٠-٧١ .

[١٣٨]) ابن بسام ، الذخيرة ، ٧/ ١٦٣- ١٦٩ .

[١٣٩]) أسماه ابن القطان البار هامش ، نظم الجمان ، ص٦٣ ؛ وقال ابن أبي زرع أن البرهانس هو أحد قادة الفونسو أرسله لمحاصرة بلنسية ، الأنيس المطرب ، ص١٤٦ .

[١٤٠]) ابن الكردبوس ، تاريخ الأندلس ، ص٨٧ .

[١٤١]) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٥٢/٤ ؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص١٦١ .

[١٤٢]) تاريخ الأندلس ، ص١١٧ .

[١٤٣]) ابن عذاري ، البيان المغرب ، قسم الموحدين ، ص٢٢٧ ؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص٢٢٩ ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص٢٧ ؛ عنان ، عصر المرابطين والموحدين ، ق٢ ، ص٢٢٩ .

[١٤٤]) الحجي ، التاريخ الأندلسي ، ص٥٣٢ .

[١٤٥]) السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص٣٠١-٣٠٧ .

[١٤٦]) الآثار الأندلسية الباقية ، ص٣٣٠ .

[١٤٧]) شمهود ، مدينة وادي الحجارة الأندلسية ، آثار وعمارة ، على الموقع الالكتروني : http://almothaqaf.com .

[١٤٨]) المغرب ، ٣٣/٢ .

[١٤٩]) ابن الأبار، التكملة ، ٣٠/١ .

[١٥٠]) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص٤١ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ص١٨٣ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٢٠٠/٢٤ .

[١٥١]) ابن سعيد ، المغرب ، ٢٧/٢ .

[١٥٢]) المغرب ، ٢٨/٢ .

[١٥٣]) الذخيرة ، ٦٥٤/٦-٦٥٥ .

١٥٤) المغرب ، ٣٦/٢ .

١٥٥) المغرب ، ٣٧/٢ .

١٥٦) المغرب ، ٢٧/٢ .

[١٥٧]) المغرب ، ٢٧/٢ .

[١٥٨]) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص١٩٧ .

[١٥٩]) مدينة إلى الشرق من طليطلة بينهما ستون ميلاً ، مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس ، ص١٠٨-١٠٩ .

[١٦٠]) التكملة ، ٢٤٨/٤ .

[١٦١]) المُغرب، ٣٧/٢ .

[١٦٢]) الدر المنثور ، ٢٩٠/١ .

[١٦٣]) المغرب ، ٣٧/٢ .

[١٦٤]) بوفلاقة ، الشعر النسوي الأندلسي ، ص٥٢ .

[١٦٥]) دراسات أندلسية ، ص٢٣٦ .

[١٦٦]) الشعر النسوي الأندلسي ، ص٥٣ .

[١٦٧]) المرأة في الشعر الأندلسي ، ص٢٥٧ .

[١٦٨]) ابن سعيد ، المُغرب، ٣٨/٢ ؛ السيوطي ، نزهة الجلساء ، ص٢٧ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٢٠٤/٥ . مع اختلاف بعض الألفاظ

[١٦٩]) بوفلاقة ، الشعر النسوي الأندلسي ، ص٥٢ .

[١٧٠]) ابن سعيد ، المُغرب، ٣٨/٢ ؛السيوطي نزهة الجلساء ، ص٢٧ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ٢٠٤/٥ .

[١٧١]) ابن سعيد ، المُغرب، ٢، ٣٨ ؛ السيوطي ، نزهة الجلساء ، ص٢٧ ، المقري، نفح الطيب ، ٢٠٤/٥ .

[١٧٢]) سلمى سلمان ، المرأة في الشعر الأندلسي ، ص٣٢ .

[١٧٣]) ابن الأبّار ، التكملة ، ٢٤٨/٤ ؛ ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل والتكملة ، ٤٨٤/٨ .

[١٧٤]) المُغرب، ٢٧/٢ .

[١٧٥]) المغرب ، ٣٢/٢ .

[١٧٦]) ابن الأبار، التكملة ، ١٢٩/٤ .

[١٧٧]) ابن الأبار، التكملة ، ١١٢/٤ .

[١٧٨]) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص٢٣٣ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ص٣١٢ .

[١٧٩]) ابن بسام ، الذخيرة ، ٦٥٤/٦ .

١٨٠) ابن الأبار ، التكملة ، ٨٩/٤ .

١٨١) ابن الأبار، التكملة ، ١٣١/٤ .

[١٨٢]) ابن الأبار، التكملة ، ٨٦/٤ .

[١٨٣]) هو محمد بن قاسم بن حزم من أهل قلعة أيوب توفي سنة ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م ، ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص٣٤٤ .

[١٨٤]) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص٢٣٩-٢٤٠ .

[١٨٥]) ترجمته أدناه .

[١٨٦]) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى لب بن يحيى بن محمد بن قزلمان المعافري المقرىء الطلمنكي أصله من طلمنكة ، سكن قرطبة وروى بها عن أبي جعفر أحمد بن عون الله، وعن أبي عبد الله بن مفرج القاضي، وعن أبي محمد الباجي، وغيرهم ،ورحل إلى المشرق فحج ولقي بمكة من جماعة ، كما سمع من أهل المدينة، ثم رحل إلى مصر ولقي بها عدد من علمائها ، ثم انصرف إلى الأندلس بعلم كثيرٍ، وكان: أحمد الأئمة في علم القرآن العظيم قراءته وإعرابه، وأحكامه، وناسخه، ومنسوخه، ومعانيه ، وكانت وفاته سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م ، ابن بشكوال ، الصلة ، ص٥٢-٥٣ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ص١٥٢ .

[١٨٧]) ابن حزم ، رسائل ابن حزم ، ٤٣٩/١ ؛ ابن بشكوال ، الصلة ، ص٣٦٦-٣٦٧ .

[١٨٨]) ابن الأبار، التكملة ، ٢٣٧/٢ ؛ ينظر أيضا: ابن بشكوال ، الصلة ، ص٥٩٠ .

[١٨٩]) ابن الأبار، التكملة ، ٦٩/٣-٧٠ ؛ ابن سعيد ، المغرب ، ٣٠/٢ وقال أن المأمون بن ذي النون سجنه لأنه هجاه .

[١٩٠]) السيوطي ، نزهة الجلساء ، ص١٥ .

[١٩١]) المُغرب، ٣٨/٢ .

[١٩٢]) جمهرة أنساب العرب ، ص٤٩٩ .

[١٩٣]) المُغرب، ٣٨/٢ .

[١٩٤]) سلمى سلمان ، المرأة في الشعر الأندلسي ، ص٢٦٥ .

[١٩٥]) ابن سعيد ، المُغرب، ٣٨/٢ .

[١٩٦]) الروض المعطار ، ص٦٠٦ .

[١٩٧]) الشكعة ، الأدب الأندلسي ، ص٢٣٩ .

[١٩٨]) ابن سعيد ، المُغرب، ٣٨/٢ ؛ السيوطي ، نزهة الجلساء ، ص١٥ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ١٨/٥ .

[١٩٩]) ابن سعيد ، المُغرب، ٣٨/٢ .

[٢٠٠]) السيوطي ، نزهة الجلساء ، ص١٥ ؛ المقري ، نفح الطيب ، ١٠٢/٥ .

[٢٠١]) م . ن ، و الصفحات .

[٢٠٢]) الدر المنثور ، ١٠٧/١ .

[٢٠٣]) سلمى سلمان ، المرأة في الشعر الأندلسي ، ص٢١٥ .

[٢٠٤]) نفح الطيب ، ١٠٢/٥ .

[٢٠٥]) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص٢٤٩ ؛ ابن الأبار، التكملة ، ١٧٣/٣ .

[٢٠٦]) ابن بشكوال ، الصلة ، ص٣٩١ .

[٢٠٧]) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري فقيه وحافظ وعالم بالقراءات وبعلوم الحديث والرجال من أشهر كتبه كتاب التمهيد وكتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، توفي بشاطبة سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م ، الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص٣٣٢-٣٣٣ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ص٤٥٤-٤٥٦ .

[٢٠٨]) ابن بشكوال ، الصلة ، ص٤٠٠ .

[٢٠٩]) هو أبو عبد الله محمد بن وضّاح بن بُزِيغ مولى الأمير عبد الرحمن بن مُعَاوية الداخل ، من أهل قُرْطُبَة ، رَوَى بالأنْدَلُس عن محمد بن عيسى الأَعشى، ومحمد بن خالد الأشج، وغيرهم ، ورحل إلى المشرق فسمع من أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم ، ورجع إلى الأندلس فصار لها دار حديث ، وتوفي سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م ، ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص٣٠٤-٣٠٥ .

[٢١٠]) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص٢٧٣ .

[٢١١]) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص٢٧٦ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٣٣٢/٢٥ .

[٢١٢]) وهو أبو عثمان سعيد بن عثمان بن سعيد بن سليمان التجيبي الأعناقي من أهل قرطبة ، سمع من محمد بن وضاح ومحمد بن عبد السلام الخشني ، وله رحلة إلى المشرق ، وكان ورعا زاهدا عالما بالحديث ، توفي سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م ، ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص١٤٠-١٤١ .

[٢١٣]) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص٢٧٤ .

[٢١٤]) ابن سعيد ، المغرب ، ٢٦/٢ .

[٢١٥]) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص٢٨٤ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص٣٣٢ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ص٤٥١ .

٢١٦) أبو محمد عبد الله بن سعيد بن أرباح الأموي الشنتجالي ، الشيخ الصالح ، طلب الحديث بالأندلس ، وأخذ عن سلمة الزاهد ، ورحل إلى المشرق فجاور بمكة ، بضعاً وثلاثين سنة ، يثابر على الحج ، وكتابة الحديث والقيام بالعلم ، واشتهر هنالك اسمه ، وانتفع به ، وحصل على منزلة رفيعة في النسك والخير ، توفي سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م ، القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ٣٦/٨ ؛ ابن فرحون ، الديباج المذهب ، ٤٣٨/١

[٢١٧]) ابن الأبار ، التكملة ، ٣١٩/١ .

[٢١٨]) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص٣١٣ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١٧٠/٢٣ .

[٢١٩]) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص ٣٢١ .

[٢٢٠]) إبراهيم بن حفص الحجاري من أهل مدينة الفرج كان عالماً بالعربية والشعر ، ابن الأبار، التكملة ، ١١٨/١ .

[٢٢١]) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الفارسي الأندلسي كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث والفقه وله باع في التاريخ ولد بقرطبة وتوفي في لبلة سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م ، الحميدي ، جذوة المقتبس، ص٢٧٧-٢٧٩ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ٣٢٥/٣-٣٣٠.

[٢٢٢]) ابن الأبار ، التكملة ، ٣٢١/١ .

[٢٢٣]) هو أحمد بن خالد بن يزيد بن سالم المعروف بابن الجباب سمع من محمد بم وضاح والخشني ، ورحل إلى المشرق ودخل صنعاء ، كان إمام وقته في الفقه والحديث ، توفي سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م ، ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص ٣٥-٣٦ .

[٢٢٤]) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص٣٤٩ .

[٢٢٥]) هو أبو بكر عبد الباقي بن برال الحجاري محدث من أهل وادي الحجارة من أهل القرن السادس الهجري ، ابن الأبار ، التكملة ، ٩/٢ .

٢٢٦) ابن الأبار ، التكملة ، ٣٤٤/١ .

٢٢٧) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص ٣١٩ ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص١٢٥ .

٢٢٨) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص ٣٥٠ .

٢٢٩) المغرب ، ٣١/٢ .

٢٣٠) هو تميم أبي العرب بن محمد بن أحمد التميمي دخل الأندلس أيام الخليفة الحكم المستنصر وله تاريخ علماء إفريقية توفي سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م ، القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ٢٧٠/٦-٢٧١ ؛ ابن الأبار، التكملة ، ١٨٩/١ .

٢٣١) هو مسلمة بن قاسم بن عبد الله ، يكنى أبا القاسم ، محدث من أهل قرطبة سمع من محمد بن عمر بن لبابة وقاسم بن أصبغ ، وله رحلة إلى المشرق ، دخل فيها إلى العراق والبصرة واليمن والشام فضلاً عن مكة ، توفي سنة ٣٥٣هـ/٩٦٤م ، ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص٣٩٣-٣٩٥ .

٢٣٢) هو أبو سعيد أحمد بن محمد بن سعيد بن زياد بن بشر بن الأعرابي من أهل مكة حدث عن أحمد بن منصور الرمادي والحسن بن علي بن عفان ومحمد بن عيسى العطار وغيرهم ، وتوفي سنة ٣٤٠هـ/ ٩٥١م ، عبد الغني البغدادي ، التقييد ، ص ١٦٦-١٦٧ .

٢٣٣) ابن الأبار، التكملة ، ٢٩٦/١-٢٩٧ ، ١٣١/٤ .

٢٣٤) القفطي ، أنباه الرواة ، ٢٥٣/٣ .

٢٣٥) الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص٨٦ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ص١٤١ ؛ ابن الأبار، التكملة ، ٢٩٤/١

٢٣٦) هو عبد الله بن محمد بن قاسم من أهل قرطبة ، روى عن قاسم بن أصبغ وآخرون ، لم يكن له علم بالحديث ، ولي خطة الوثائق ، وتوفي سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م ، ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص٢٠٢ .

٢٣٧) ابن بشكوال ، الصلة ، ص٥٩٠ .

٢٣٨) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص٤٢٢ .

٢٣٩) هو محمد بن وضاح بن بزيغ مولى الأمير عبد الرحمن الداخل كان عابدا زاهدا له رحلة إلى المشرق روى عن عبد الملك بن حبيب توفي سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م ، ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص٣٠٥-٣٠٦ .

٢٤٠) هو قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف البياني مولى عبد الملك بن مروان ، محدث سمع بقرطبة من بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح وله رحلة إلى المشرق ، وتوفي بمكة سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م ، ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص٢٨٦-٢٨٧ .

٢٤١) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص٤٢٠-٤٢١ ؛

٢٤٢) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ص ٤٤٠ .

٢٤٣) ابن الأبار، التكملة ، ١٦٨/٤ .

مصادر ومراجع البحث

أولاً : المصادر القديمة

- ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)

١- التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق عبد السلام الهراس ، دار الفكر للطباعة ، بيروت ، ١٩٩٥م .

٢- الحُلة السُّيراء، تحقيق حسين مؤنس ، ط٢ ، مصر ١٩٨٥م

- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم بن عبد الكريم الجزري (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)

٣ - الأندلس من الكامل في التاريخ ، جمعه وحقق نصوصه جاسم ياسين الدرويش ، ط١ ، دمشق ، ٢٠١٥م

- الإدريسي ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحميري الحسني (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م).

٤- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م.

– الاصطخري ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي)
٥– المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال ، مراجعة محمد شفيق غربال ، القاهرة ، ١٩٦١م .
– ابن بسام ، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م)
٦– الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٠م .
– ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)
٧– الصلة في تاريخ علماء الأندلس ، قدم له وضبطه صلاح الدين الهواري ، ط٢ ، مطبعة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٥٥م .
– البكري، أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)
٨ – المسالك والممالك ، منشورات دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٢م .
– ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)
٩– جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم ، ط٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٧م .
١٠– رسائل ابن حزم ، تحقيق إحسان عباس ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٧م .
١١– طوق الحمامة في الألفة والآلاف ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٨٧م .
– الحميدي ، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)
١٢– جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر ، الدار المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦م .
– الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت : حوالي ٧١٠هـ/١٣١٠م)
١٣– الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٠م .
– ابن حوقل ، أبي القاسم النصيبي (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)
١٤– صورة الأرض ، ط٢ ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٣٨م .
– ابن حيان ، أبو مروان حيان بن خلف (ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م)
١٥– المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، (للحقبة ١٨٠–٢٣٢هـ/٧٩٦–٨٤٦م) تحقيق محمود علي مكي ، ط ١ ، الرياض ، ٢٠٠٣م .
١٦– المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للحقبة ٢٣٢–٢٦٧هـ/ ٨٤٦–٨٨٠م) تحقيق محمود علي مكي ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٣م .
١٧– المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للحقبة ٢٧٥–٣٠٠هـ/٨٨٨–٩١٢م)، تحقيق إسماعيل العربي، ط١، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ١٩٩٠م.
١٨– المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للحقبة ٣٠٠–٣٣٠هـ/٩١٢–٩٤١م)، تحقيق ب. شالميتا بالتعاون مع كور نيطي و م. صبح، منشورات المعهد العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩م.
١٩– المقتبس من أنباء أهل الأندلس (للحقبة ٣٦٠–٣٦٤هـ/ ٩٧٠–٩٧٤م) ، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٥م .
– ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد التلمساني(ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) .
٢٠– أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام المسمى بتاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق سيد كسروي حسن ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣م .

٢١- الإحاطة في أخبار غرناطة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)
٢٢- تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ، تحقيق خليل شحادة ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٨م .
- ابن خلكان ، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)
٢٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .
- الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)
٢٤- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق بشار عواد ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٣م .
- ابن أبي زرع ، أبو الحسن علي بن عبد الله (كان حيا سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م)
٢٥- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٧٢م .
- الزهري ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت بعد ٥٤١هـ/ ١١٥٤م)
٢٦- كتاب الجغرافية ، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد .
- ابن سعيد ، علي بن موسى (ت ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م أو ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)
٢٧- كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربي ، المكتبة التجارية للطباعة ، بيروت ، ١٩٧٠م .
٢٨- المغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ج١ ، ١٩٥٣ م ، ج٢ ، ١٩٥٥م .
- السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)
٢٩- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – لبنان، صيدا.
٣٠- نزهة الجلساء في أشعار النساء ، تحقيق محمد سعيد ، مكتبة الإيمان ، مصر .
- شيخ الربوة ، أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري (ت٧٢٧هـ / ١٣٢٦م)
٣١- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٨م.
- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)
٣٢- الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، ٢٠٠٠م.
- الضبي ، أبو جعفر أحمد بن عيسى (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٢م)
٣٣- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧م .
- ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبد الله (ت٢٥٧هـ/٨٧٠م)
٣٤- فتوح مصر والمُغرب، تحقيق علي محمد عمر ، القاهرة ١٩٩٥م .
- عبد الغني البغدادي ، معين الدين محمد بن عبد الغني (ت ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م)
٣٥- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، دار الكب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٨ م .
- ابن عبد الملك المراكشي ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك (ت٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)
٣٦- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، السفر الخامس ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٥م .
- ابن عذاري المراكشي ، أبو العباس أحمد بن محمد (ت بعد ٧١٢هـ/ ١٣١٢م)

٣٧- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س كولان وإ-ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥١م ؛ ج٢ ، ج٣ تحقيق ومراجعة . ج . س . كولان وإليفي بروفنسال ، ط٣ ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٣م ؛ ج٤ ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٧م ، والجزء الخاص بالموحدين تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٥م .

- العذري ، أحمد بن عمر بن أنس (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)

٣٨- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني ، منشورات معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، د.ت.

- الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ/٧٨٦م)

٣٩- كتاب العين ، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، دار الهلال ، بيروت .

- ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م)

٤٠- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق محمد

- ابن الفرضي ، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)

٤١- تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧م .

- القاضي عياض ، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م)

٤٢- ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، ج١ تحقيق ابن تاويت الطنجي ، ج ٢ ، ٣ ، ٤ ، تحقيق عبد القادر الصحراوي ، ج٥ تحقيق محمد شريفة ، ج ٦ ، ٧ ، ٨ ، تحقيق سعيد أحمد أعراب ، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب.

- ابن القطان، حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي المراكشي (ت٦٢٨هـ / ١٢٣٠م)

٤٣- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، ط٢، دار الغرب العربي، بيروت، ١٩٩٠م.

- القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)

٤٤- أنباه الرواة على أنباه النحاة ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٤هـ .

- القلقشندي ، أحمد بن علي بن أحمد (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)

٤٥- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- ابن القوطية ، أبو بكر محمد بن عمر (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)

٤٦- تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، بيروت ، ١٩٥٧م .

- ابن الكردبوس ، أبو مروان عبد الملك التوزري (من علماء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)

٤٧- تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط ، نصان جديدان ، تحقيق أحمد مختار العبادي ، مطبعة الدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٩٧١م .

- مجهول ، مؤلف (ت القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي).

٤٨- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، مجريط ، ١٨٦٧م.

- مجهول ، مؤلف (ت في حدود ٨٩٥هـ/١٤٨٩م).

٤٩ - تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ٢٠٠٧م.

- مجهول ، مؤلف (ت بعد ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م)

٥٠- حدود العالم من المشرق إلى المغرب ، ترجمه عن الفارسية وحققه يوسف الهادي ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ .

– المراكشي ، عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)
٥١– المعجب في تلخيص أخبار المُغرب ، وضع حواشيه خليل عمران المنصور ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٥م .
– المقدسي ، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشافعي البشاري (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)
٥٢– أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، وضع مقدمته وحواشيه محمد مخزوم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٩٨٧م .
– المقري ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت : ١٠٤١هـ / ١٦٣١م) .
٥٣– نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨م .
– ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م)
٥٤– الفهرست ، تحقيق إبراهيم رمضان ، ط٢ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٩٧م .
– النويري ، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري(ت٧٣٣هـ /١٣٣٢م)
٥٥- نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب، ط١، دار الكتب، القاهرة، ١٤٢٣هـ.
– ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)
٥٦– الأندلس من معجم البلدان ، حققه وعلق عليه جاسم ياسين الدرويش ، ط١ ، البصرة ٢٠١٢م .
٥٧– معجم البلدان ، دار صادر ، ط٣ ، بيروت ٢٠٠٧م .
– اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م أو بعد سنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م)
٥٨– البلدان ، دار إحياء التراث العبي ، بيروت ، ١٩٨٨م .

ثانياً : المراجع الحديثة

– أرسلان، شكيب
١– الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ط١ ، المطبعة الرحمانية ، مصر، ١٩٣٦م.
– بوفلاقة ، سعد
٢– الشعر النسوي الأندلسي ، أغراضه وخصائصه الفنية ، دار الفكر ، بيروت ٢٠٠٣م .
– الحجي، عبد الرحمن علي .
٣– التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة (٩٢–٨٩٧هـ/ ٧١٠–١٤٩١م) ط١ ، بغداد ، ١٩٧٦م .
– حتاملة ، محمد عبده
٤– ايبيريا قبل مجيء العرب المسلمين ، عمان ، ١٩٩٦م .
– الزركلي ، خير الدين محمود
٥– الأعلام ، دار العلم للملايين ، ط١٥ ، ٢٠٠٢م .
– سالم ، السيد عبد العزيز
٦- تاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة ، ط٢ ، القاهرة ١٩٨٦م .
٧– المساجد في الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٦م .
– السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون.
٨– تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٦م.

- السامرائي، خليل إبراهيم.
٩- الثغر الأعلى الأندلسي دراسة في أحواله السياسية ٩٥-٣١٦هـ/ ٧١٣-٩٢٨م، مطبعة أسعد، بغداد ، ١٩٧٦م.

- سلمى سلمان علي
١٠- المرأة في الشعر الأندلسي ، عصر الطوائف (٤٠٠ - ٤٨٤هـ) ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط١ ، القاهرة ٢٠٠٦م .
- الشكعة ، مصطفى
١١- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه ، بيروت ١٩٧٥م .
- شمهود ، طاظم
١٢- مدينة وادي الحجارة الأندلسية ، آثار وعمارة ، مقالة على الموقع الالكتروني : http://almothaqaf.com .
- طه ، عبد الواحد ذنون.
١٣- الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال افريقيا والأندلس، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، ١٩٨٢م .
- العبادي ، أحمد مختار
١٤- في التاريخ العباسي والأندلسي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ب ، ت .
- أبو عبية ، طه عبد المقصود
١٥- موجز عن الفتوحات الإسلامية ، دار النشر للجامعات ، القاهرة .
- العتبي ، محمد سعيد رضا علو ، والعامري ، محمد بشير حسن راضي ،
١٦- تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي ، بغداد ، ٢٠٠٢م .
- العلياوي، حسين جبار مجيتل
١٧- الحملات الصليبية على الأندلس حتى نهاية دولة المرابطين ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠٥م.
- عنان ، محمد عبد الله
١٨- الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال دراسة تاريخية أثرية، ط٢، القاهرة، ١٩٩٧م.
١٩- دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي ، ط١ ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٠م
٢٠- دولة الإسلام في الأندلس ، ط٣ ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٠م
٢١- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، ط١ ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٤م .

- فواز العاملية ، زينب بنت علي (ت ١٩٤١م)
٢٢- الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ، وضع حواشيه وعلق عليه محمد أمين ضناوي ، دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت ١٩٩٩م .
- كراتشوفسكي ، أغناطيوس يوليانوفتش
٢٣- تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم ، القاهرة ، ١٩٦٣م .
- كولان ، ج . س .
٢٤- الأندلس ، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية ، دار الكتاب اللبناني ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٠م .

- مكي ، الطاهر

٢٥- دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة ، دار المعارف ، مصر ١٩٨٠م .

- مؤنس، حسين .

٢٦- فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية ٩٢-١٣٨هـ/٧١٠-٧٥٥م، ط١، القاهرة، ١٩٥٩م.

- ناجي ، عبد الجبار

٢٧- دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية ، جامعة البصرة ، ١٩٨